الدكتور محمد عمر الحاجي

فضائل آل البيت

في

ميزان الشريعة الإسلامية

تقديم

الأستاذ نزير محمد مكتبي

الأستاذ محمد ابن النابلسي

دار المكتبي

الطبعة الأولى
1420هـ - 1999م

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أوالنسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص. ب. ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢

فضائل آل البيت

في

ميزان الشريعة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

الأستاذ الداعية

نذير محمد مكتبي

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله ربِّ العالمين ، وأفضل الصلاة وأتَمُّ التسليم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيِّدنا محمد ، وعلى أهل بيته الطيِّبين الطاهرين وأصحابه الكرام أجمعين .

أما بعد :

فإنَّ **دار المكتبيّ** ـ حفظها الله ـ عرضت عليَّ كتاباً عنوانه : (**فضائل آل البيت رضي الله تعالى عنهم**) لمؤلِّفه الدكتور محمد عمر الحاجي ؛ لكي أراجعه وأنظر رأيي فيه قبل أن يؤول إلى الطبع والنشر ، وطلبت منِّي أن أُحرّر له مقدمة مناسبة ، فبادرتُ إلى قراءته من أوله إلى آخره ، واطلعتُ على جميع أبوابه وفِقره ، وتأمّلت مبانيَه ومعانيَه ، ونظرت في شواهد أفكاره واحتجاجاتها ، فرأيتني أمام كتاب رائع المضمون جمّ الفوائد متنوِّع الفرائد بديع النَّسْج جميل السَّبْك عميق الفِكْر جليل المعاني ، استطاع مؤلّفه حفظه الله أن يجمع فيه خلاصة الأدلَّة والشواهد في بيان فضائل أهل بيت النبيِّ عليه الصلاة والسلام والأحكام المتعلِّقة بهم وأقوال علماء الأُمّة وفقهائها الواردة فيهم سلفاً وخلفاً ، مجلياً بذلك موقف أهل السنَّة والجماعة من أهل البيت في أداء حقِّهم من

الإجلال والإكرام والحُبِّ والاحترام .

ولمّا أصبحت قضية أهل بيت النبيّ ﷺ من القضايا المهمّة ذات الأثر العميق في حياة المسلمين على امتداد تاريخ الدعوة الإسلامية ، وكان لخصوم الإسلام باع آثِمٌ في إحداث شرخٍ في جدار الوِفاق بين المسلمين ، جاعلين من قضيّة أهل البيت مادة أساسيّة لتحطيم ذلك الوِفاق وتمزيق الآصرة الإسلامية بين أفراد الأُمّة المسلمة وإثارة الشِّقاق المدمِّر في حياتها ليُفضي بها إلى الضعف والهزيمة في مسالك النِّضال أمام دعاة الشرِّ وأدعياء الباطل وأعداء النور من الملاحدة وأتباع الشيطان ؛ فقد جاء كتاب (فضائل آل البيت رضي الله تعالى عنهم) بالدواء الناجع الذي ينتظره الجيل المسلم في هذا العصر بفارغ الصبر ؛ لينطلق على هدي معانيه السامية وحقائقه الرائدة قوياً متماسكاً في ظلّ محبّة رسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين الذين نزل في حقّهم قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ، كما جاء في بيان واجب حبِّهم وفاءً مع أشرف الخلق عليه الصلاة والسلام قوله عز وجلّ : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى : ٢٣] ، كما كانوا الأمانة التي وضعها رسول الله ﷺ في عنق أُمّته على امتداد أزمانها وتلاحق أجيالها حين قام يوماً في المسلمين خطيباً عند ماء يُدعى خُمّاً بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ، ثم قال : « أمّا بعد أيُّها الناس ، فإنمّا أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأُجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلَيْن ، أولهما : كتاب الله ، وفيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ، ثمَّ قال : « وأهل بيتي أُذكِّركم اللهَ في أهل بيتي ، أُذكِّركم اللهَ في أهل بيتي » .

[رواه مسلم عن زيد بن أرقم] .

فأسأل الله تعالى أن ينفع المسلمين بهذا الكتاب ، وأن يثيب مؤلفه عظيم الأجر وجزيل الثواب ، وأن يجعلنا وإيّاه يوم القيامة من السُّعداء مع الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام وأهل بيته الطيّبين وأصحابه الغرّ الميامين ، إنّه مُجيب الدعاء .

والحمد لله رب العالمين

نذير محمد مكتبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الأستاذ الداعية

محمد راتب النابلسي

طُلب مني أن أقدم كتاباً في « فضائل آل البيت في ميزان الشريعة الإسلامية » لمؤلفه الأخ الكريم الدكتور محمد عمر الحاجي ، فقد ورد في الفصل الثاني من كتابه : إن المكانة السامية لآل بيت النبيِّ ﷺ ، التي أعطاهم إياها الله جل جلاله في كتابه ، وأعطاهم إياها رسوله ﷺ في سنته القولية والعملية ؛ إن هذه المكانة تجعل المسلم ـ أي مسلم ـ يعظمهم ، ويجلهم ، ويعدّ هذا التعظيم والإجلال جزءاً من دينه ، وقد ذكر الفخر الرازي : أن أهل بيت النبيِّ ﷺ ساووه في خمسة أشياء : في الصلاة عليه في التشهد ، وفي السلام ، وفي الطهارة ، وفي تحريم الصدقة ، وفي المحبة .

ولقد آثرت أن يكون التقديم في موضوع عام ، أصولي ، هو منهج البحث الإسلامي ؛ لأنه يلقي ضوءاً كاشفاً على حقيقة الاختلاف بين المسلمين ، وما ينبغي أن يكونوا عليه .

فانطلاقاً من أن الدين في حقيقته نقل عن الله ورسوله ، وأن أخطر ما في النقل صحته ، لذلك لو حرص المسلمون على اعتماد النصوص الصحيحة وجعلوها أساساً لتصوراتهم ، وعقائدهم ، ومواقفهم ؛ لما اختلفوا فيما بينهم ، فالنصوص الصحيحة تجمع ؛ والنصوص الضعيفة

والموضوعة تفرق ، فالنص الصحيح أولاً والحكم مأخوذ منه ومبني عليه ثانياً ، أما إذا عكسنا الأمر ؛ فجئنا بالرأي أولاً ثم بحثنا عن نص يؤيده ، فقبلنا من النصوص ما يؤيده ، ورفضنا ما لا يؤيده ، وقعنا في ضلالات أهل الرأي ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٥٩] .

ويمكن أن نلخص منهج البحث الإسلامي بالقاعدة التالية : « **إن كنت ناقلاً فالصحة ، أو مدعياً فالدليل** » .

وبما أن العلم ـ في الأصل ـ **حكم** ، مقطوع بصحته ، يطابق الواقع ، وعليه دليل ؛ فلو لم يكن الحكم مقطوعاً بصحته ، كان الوهم والشك والظن ، ولو لم يطابق الواقع كان جهلاً ، لأن حقيقة العلم هو الوصف المطابق للواقع ، ولو لم يؤيده الدليل ـ ولو كان الحكم صحيحاً ـ كان تقليداً ، فانطلاقاً من هذا . . . أؤكد أن الحق ما جاء به النقل ، ومن البدهي أن يقبله العقل الصريح ، وأن ترتاح له الفطرة السليمة ، وأن يؤكده الواقع الموضوعي .

ثم إن الاختلاف على أنواع ثلاثة ؛ منه ما يرد إلى نقص المعلومات ، وهذا اختلاف طبيعي ، علاجه توضيح الحقائق ، قال تعالى :

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢١٣] .

وهناك الاختلاف الذي يرد إلى الحسد والبغي وتنازع المصالح الدنيوية ، وهو اختلاف مذموم ، وقد تعزى بعض اختلافات المسلمين إلى هذا النوع الممقوت الذي وصف الله به أهل الكتاب ، قال تعالى :

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٣] .

وهناك اختلاف التنافس على الفوز بأعلى درجات الآخرة ، وهذا الاختلاف محمود عند الله لأنه يستحث الخطى ، ويضاعف الجهود ، ويعود بالخير العميم على المسلمين ، قال تعالى :

﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣] .

ثم إن هناك دعوة إلى الذات مغلفة بدعوة إلى الله ، وهذه الدعوة من خصائصها : الابتداع ، والتنافس ، والجحود ؛ وهناك دعوة إلى الله خالصة ، وهذه الدعوة من خصائصها : الاتباع ، والتعاون ، والإنصاف .

والإنسان فردي الطبع ، وهو مكلف بالتعاون ، وهذا التناقض بين الطبع والتكليف هو ثمن الجنة ، قال تعالى :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾

[النازعات: ٤٠-٤١] .

فالمسلم يتعاون مع أخيه المسلم بقدر طاعته لله ، وبقدر إخلاصه في طاعته ، ويتنافس مع أخيه المسلم ، ويتنازع بقدر تقصيره في طاعة الله ، وبقدر ضعف إخلاصه .

وما من مرحلة في حياة المسلمين ، هم في أمسِّ الحاجة إلى أن يعودوا إلى أصول دينهم ، إلى الجذع الواحد الموحد ، وأن ينزعوا عن دينهم كل ما ألصق به مما ليس منه ، لتعود إليهم وحدتهم ، وقوتهم ، فيتعاونوا على البر والتقوى ؛ وعلى صلاح دنياهم وأخراهم .

محمد راتب النابلسي

من وحي التنزيل

قال الله تعالى :

﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾

[الشورى : ٢٣]

صدق الله العظيم

من مشكاة النبوّة

قال رسول الله ﷺ :

« أحبّوا الله لما يغذوكم به من نِعَمِهِ ، وأحبّوني بحبّ الله ، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي »

[سنن الترمذي : رقمه (٣٧٨٩) ،

الجامع الصغير للسيوطي : رقمه (٢٢٤)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

والصلاة والسلام علىٰ سيدنا رسول الله ﷺ القائل : « لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحبَّ إليه من نفسه ، وأهلي أحبَّ إليه من أهله ، وعترتي أحبَّ إليه من عترته ، وذريتي أحبَّ إليه من ذريته »[1] .

وبعد ؛

ففي أثناء كتابتي في موضوع (فضائل الصحابة في ميزان الشريعة الإسلامية) وجدت أضغاثاً من أقوال ، وأكواماً من أوهام ، وأكداساً من التناقض تحيط بموضوع آل البيت رضوان الله عليهم الذين هم ـ في الأصل ـ جزء من الصحابة ، بل من أقرب الصحابة إلى رسول الله ﷺ ، فقد عاش أوائلهم مع الرسول وفي كنفه أيضاً .

وكان من مشيئة الله سبحانه وتعالى أن جرت أحداث معروفة قسمت أمة الإسلام قسمين كبيرين ما تزال عقابيلها إلى اليوم ، ولا سيما لدى

---

(١) المعجم الكبير للطبراني : ٧/ ٧٥ ، شعب الإيمان للبيهقي : ٢/ ١٨٩ ، كنز العمال للمتقي الهندي : ١/ ٤٤ ، مجمع الزوائد للهيثمي : ١/ ٨٩ .

عـوام النـاس ومتعصبيهـم وجهـالهـم دون خـاصـة النـاس ومنصفيهـم وعقلائهم ، فما زالت تتردد بعض الأقوال الواهمة والمفاهيم الخاطئة التي تدل على جهل أصحابها وغلوّهم كقولهم : إن كنت من أحباب آل البيت فهذا يعني ـ بداهةً ـ بغضك للصحابة ، ولا سيما الصديق والفاروق وذي النورين رضوان الله عليهم ، وعلى العكس فإن كنت من أحباب الصحابة فهذا يعني ـ بداهةً ـ بغضك لآل البيت رضوان الله عليهم .

لذلك أردت أن أبحث في هذا الموضوع وعدت إلى المصادر والمراجع القديمة والحديثة فوجدتها تنوس بين الإفراط والتفريط ، فتركت الخوض في قشور الأحداث إلى لبوبها ، فتناولت فضائل آل البيت رضوان الله عليهم في القرآن الكريم وتفسيره والسنة النبوية الشريفة وشروحها .

وقد ثبت في الصحاح والسنن حب الرسول الكريم لأهل البيت ، فالواجب يحتم علينا أن نسير على خط المحبة والمودة والاحترام لآل بيت رسول الله ، وصدق القائل :

قـال لـي قـائـل رأيتـك تهـوىٰ ... آل طٰـه ودائمـاً تـرتجيهـمْ
كـان حقـاً عليـك تستغـرق العمـ ... ـر مديحاً فيهم وفي مَنْ يليهم
قلت : ماذا أقول والخلق طرّاً ... يستمـد العطـاء مـن أيـديهـم
أنـا لا أستطيـع أمـدح قـومـاً ... كـان جبـريـل خـادمـاً لأبيهـم

وليس حب آل البيت وبيان مزاياهم وشمائلهم من باب الترف الفكري أو التعصب أو الهوى ، وإنما هو من باب حب رسول الله ﷺ ، ومن يبغض آل بيت رسول الله فكأنه يبغض رسول الله نفسه ، ومن وصل إلى

درجة الحقد والحسد منهم فليعلم أنه في طريق يوصل في النهاية إلى جهنم ، ومصداق هذا قول عمود آل البيت ﷺ : « والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهلَ البيتِ أحدٌ إلا أدخله الله النار »[1] .

أما خطة البحث فقد كانت تتدرج من تعريف آل البيت ، وأحوالهم مع الصحابة ، وبعض الأحكام الفقهية الخاصة بهم ، إلى ذكر أهم فضائلهم الواردة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

وأخيراً فليس هذا الكتاب سوى تعبير عن محبة جمهور أهل السنة لأهل البيت ، ومحاولة يسيرة للمِّ الشعث ورأب الصدع بين جناحي الإسلام ، ورمز صغير لحبي الكبير لآل البيت ؛ أسأل الله عز وجل أن يحشرنا يوم العرض عليه تحت لواء سيدنا محمد ﷺ ، وآله الطاهرين وأصحابه الطيبين ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين : ٢٦] .

والحمد لله رب العالمين

---

(١) مستدرك الحاكم : ٣/ ١٥٠ .

الباب الأول

مسائل تتعلق بآل البيت

الفصل الأول : من هم آل البيت؟

الفصل الثاني : حبّ آل البيت لا يعني بُغض الصحابة!

الفصل الثالث : كيف كان السلف الصالح مع آل البيت؟

الفصل الرابع : بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بآل البيت .

الفصل الأول

من هم آل البيت؟

البحث الأول : آل البيت ـ لغة ـ :

قال العلامة ابن منظور (ت٧١١هـ) رحمه الله تعالىٰ :

(. . .آل النبي ﷺ ، قال أبو العباس أحمد بن يحيىٰ : اختلف الناس في الآل ، فقالت طائفة : آل النبي ﷺ من اتبعه قرابة كانت أو غير قرابة ، وآله ذو قرابته مُتَّبعاً أو غير مُتَّبع .

وقالت طائفة : الآل والأهل واحد ، واحتجوا بأن الآل إذا صُغِّر قيل أُهَيْل ، فكأن الهمزة هاء كقولهم هَنَرْتُ الثوب وأنَرْته إذا جعلت له عَلَماً ، قال : وروىٰ الفراء عن الكسائي في تصغير آل أُوَيْل ، قال أبو العباس : فقد زالت تلك العلة وصار الآل والأهل أصلين لمعنيين فيدخل في الصلاة كل من اتبع النبي ﷺ قرابة كان أو غير قرابة ، وروي عن غيره أنه سئل عن قول النبي ﷺ : « اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد » : من آلُ محمد؟ فقال : قال قائل آله أهله وأزواجه ، كأنه ذهب إلىٰ أن الرجل تقول له أَلَكَ أهلٌ؟ فيقول : لا ، وإنما يعني أنه ليس له زوجة ، قال : وهذا معنىٰ يحتمله اللسان ، ولكنه معنىٰ كلام لا يُعرف إلا أن يكون له سبب كلام يدل عليه ، وذلك أن يقال للرجل :

تزوَّجت ، أو يقول الرجل أجنبت من أهلي فيعرف أن الجنابة إنما تكون من الزوجة ، فأما أن يبدأ الرجل فيقول أهلي ببلد كذا فأنا أزور أهلي وأنا كريم الأهل ، فإنما يذهب الناس في هذا إلىٰ أهل البيت ، قال : وقال قائل : آل محمد أهل دين محمد ، قال : ومن ذهب إلىٰ هذا أشبه أن يقول : قال الله لنوح : ﴿ ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ﴾ [هود : ٤٠] . وقال نوح : ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ [هود : ٤٥] . فقال تبارك وتعالىٰ : ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ [هود : ٤٦] . أي ليس من دينك .

قال : والذي يُذهب إليه في معنىٰ هذه الآية أن معناه : أنه ليس من أهلك الذي أمَرناك بحملهم معك ، فإن قال قائل : وما دل علىٰ ذلك؟ قيل قول الله تعالىٰ : ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾ [هود : ٤٠] . فأعلمه أنه أمره بأن يحمل من أهله من لم يسبق عليه القول من أهل المعاصي ، ثم بين ذلك فقال : ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ [هود : ٤٦] . قال : وذهب ناس إلى أن آل محمد قرابته التي ينفرد بها دون غيرها من قرابته ، وإذ عُدَّ آل الرجل : ولده الذين إليه نَسَبُهم ومن يؤويه بيته من زوجة أو مملوك أو مولىٰ أو أحد ضمَّه إلى عياله ، وكان هذا في بعض قرابته من قِبَل أبيه دون قرابته من قِبَل أمه ، لم يجز أن يستدل علىٰ ما أراد الله من هذا ثم رسوله إلا بسنّة رسول الله ﷺ ، فلما قال : « إن الصدقة لا تحل لمحمد وآل محمد » دلّ علىٰ أن آل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة وعُوّضوا منها الخُمس ، وهي صليبة بني هاشم وبني المطلب ، وهم الذين اصطفاهم الله من خلقه بعد نبيه صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، وفي الحديث : « لا تحل الصدقة لمحمد وآل محمد » قال ابن الأثير : واختلف في آل النبي ﷺ ، الذين لا تحل الصدقة لهم ، فالأكثر علىٰ أنهم آل بيته ، قال الشافعي : دل هذا الحديث أن آل

محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة وعُوّضوا منها الخُمس ، وقيل : آله أصحابه ومن آمن به ، وهو في اللغة يقع علىٰ الجميع ، وقوله في الحديث : « لقد أُعطي مزماراً من مزامير آل داود » أراد من مزامير داود نفسه .

والآل : صلة زائدة ، وآل الرجل : أتباعه ، قال الأعشى :

فكذبوها بما قالت فصبَّحَهم ذو آل حسَّانَ يُزجي السَّمَّ والسَّلعا

يعني جيش تُبَّع ، ومنه قوله عز وجل : ﴿ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[1] [غافر : ٤٦] .

وقال العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ) :

(أهل الرجل : عشيرته ، وذوو قرباه ، ج : أهلون وأهالٍ وآهالٌ وأهلاتٌ ، ويُحرَّكُ ، وأَهَلَ يأهُلُ ويأهِلُ أهولاً ، وتأهّلَ واتَّهَلَ : اتخذ أهلاً ، وأهلُ الأمر : ولاتُه ، وللبيت : سُكانه ، وللمذهب : من يدين به ، وللرجل : زوجته . كأهْلَتِه ، وللنبي ﷺ : أزواجه وبناته وصهره عليّ رضي الله تعالىٰ عنه ، أو نساؤه ، والرجال الذين هُم آله ، ولكل نبي أُمَّتُه)[2] .

وهكذا تستعمل لفظة (أهل) مرادفة للفظة (آل) ، لكن لفظة (أهل) تُعَدُّ أخص وتعني الزوجة كما في قول الله تعالىٰ خطاباً لزوجة إبراهيم عليه السلام ، عندما قالت : ﴿ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ

---

(١) لسان العرب : (أول) ١/٢٦٨ .

(٢) القاموس المحيط : ٢/١٢٧٦ .

هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود : ٧٢ـ٧٣] .

وقول الرسول ﷺ : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي »[١] .

البحث الثاني : آل البيت ـ اصطلاحاً ـ :

جاء في الموسوعة الفقهية ما يلي : (لم يتفق الفقهاء على معنى الآل ، واختلفت لذلك الأحكام عندهم ، فقد قال الحنفية والمالكية والحنابلة : إن الآل والأهل بمعنىً واحد ، ولكن مدلوله عند كل منهم يختلف .

فذهب الحنفية إلى أن أهل بيت الرجل وآله وجنسه واحد ، وهو كل من يشاركه في النسب إلىٰ أقصىٰ أب له في الإسلام ، وهو الذي أدرك الإسلام ، أسلم أو لم يسلم[٢] . وقيل : يشترط إسلام الأب الأعلى ، فكل من يناسبه إلىٰ هذا الأب من الرجال والنساء والصبيان فهو من أهل بيته[٣] .

وقال المالكية : إن لفظ الآل يتناول العصبة ، ويتناول كل امرأة لو فرض أنها رجل كان عاصباً[٤] .

وقال الحنابلة : إن آل الشخص وأهل بيته وقومه ونسباءه وقرابته

---

(١) سنن الترمذي رقمه (٣٨٩٢) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .
(٢) الإسعاف في أحكام الأوقاف : ١١١ ، بدائع الصنائع للكاساني : ٧/ ٣٥٠ .
(٣) حاشية ابن عابدين : ٣/ ٤٣٩ .
(٤) الشرح الكبير وحاشية الدسوقي : ٤/ ٩٤ .

بمعنى واحد[1] . وقال الشافعية : إن آل الرجل أقاربه ، وأهله من تلزمه نفقتهم ، وأهل بيته أقاربه وزوجته[2] .

وللآل إطلاق خاص في عبارات الصلاة علىٰ النبي وآله ﷺ ، فالأكثرون علىٰ أن المراد بهم قرابته عليه الصلاة والسلام الذين حرمت عليهم الصدقة .

وقيل : هم جميع أمة الإجابة ، وإليه مال مالك ، واختاره الأزهري والنووي من الشافعية ، والمحققون من الحنفية[3] ، وهو القول المقدم عند الحنابلة .

وعبارة صاحب المغني : آل محمد ﷺ أتباعه على دينه[4])[5] .

والمراد بآل محمد ﷺ عامة هم آل علي ، وآل عباس ، وآل جعفر ، وآل عقيل ، وآل الحارث بن عبد المطلب ، وآل أبي لهب .

فإن عبد مناف وهو الأب الرابع للنبي ﷺ أعقب أربعة ، وهم هاشم والمطلب ونوفل وعبد شمس ، ثم إن هاشماً أعقب أربعة ، انقطع نسبهم إلا عبد المطلب ، فإنه أعقب اثني عشر[6] .

. . . وأما أزواجه ﷺ ، فذكر بعض الفقهاء أنهن لا يدخلن في آله الذين حرمت عليهم الصدقة[7] .

---

(١) كشاف القناع : ٤/ ٢٤٢ .
(٢) نهاية المحتاج : ٦/ ٨٢ .
(٣) حاشية ابن عابدين : ١/ ٩ .
(٤) المغني : ١/ ٩٨ .
(٥) الموسوعة الفقهية : ١/ ٩٨ .
(٦) حاشية ابن عابدين : ٤/ ٦٦ .
(٧) حاشية الشلبي علىٰ تبيين الحقائق : ١/ ٣٠٣ .

لكن في المغني عن عائشة رضي الله عنها ما يخالف ذلك ، قال : روى الخلال بإسناده عن أبي مليكة أن خالد بن سعيد بن العاص بعث إلىٰ عائشة رضي الله عنها سفرة من الصدقة فردّتها وقالت : إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة .

قال صاحب المغني : وهذا يدل علىٰ أنهن من أهل بيته في تحريم الزكاة ، وذكر الشيخ تقي الدين : أنه يحرم عليهنّ الصدقة وأنهنّ من أهل بيته في أصحّ الروايتين[1])[2] .

إذاً : هذا هو جوهر الخلاف في الاصطلاح : هل تدخل أزواج النبي ﷺ في الآل أم لا؟!

لعلّ الذي يحلّ الخلاف ـ حسب مفهومنا ـ هو العودة إلى الأصول .

من ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « خرج النبي ﷺ غداةً ، وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل من شَعْر أسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء عليّ فأدخله ، ثم قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[3] [الأحزاب : ٣٣] .

وتروي أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها فنقول : « إن رسول الله قال لفاطمة : ائتني بزوجك وابنيك فجاءت بهم ، فأكفأ عليهم كساءً فدكيّاً ، ثم وضع يده عليهم ثم قال : اللهم إن هؤلاء آل محمد ،

---

(١) المغني مع الشرح الكبير : ٢/ ٥٢٠ ، كشاف القناع : ٢/ ٢٦٤ ، فتح الباري : ٣/ ٢٧٧ .

(٢) الموسوعة الفقهية الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت : ١/ ١٠٠ .

(٣) صحيح مسلم : ٧/ ١٣٠ .

فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد إنك حميد مجيد ، قالت أم سلمة : فرفعت الكساء لأدخل معهم ، فجذبه رسول الله ﷺ وقال : إنك على خير »[1] .

ويناقش المرحوم يوسف النبهاني هذه المسألة فيقول :

اختلف المفسرون في أهل البيت في هذه الآية ، فذهبت طائفة ـ منهم أبو سعيد الخدري ـ وجماعة من التابعين ـ منهم مجاهد ، وقتادة ـ وغيرهم كما نقله الإمام البغوي والخازن وكثير من المفسرين ، إلى أنهم هنا أهل العباء وهم : سيدنا رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله تعالىٰ عنهم .

وذهب جماعة ـ منهم ابن عباس وعكرمة ـ إلى أنهم أزواجه الطاهرات ﷺ ، قال هؤلاء الآيات كلها من قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾ [الأحزاب : ٢٨] . إلىٰ قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٤] . منسوق بعضها على بعض فكيف صار في الوسط كلام لغيرهن ؟ !

. . . وعن أبي سعيد الخدري أنه ﷺ جاء أربعين صباحاً يعني بعد نزول هذه الآية إلىٰ باب فاطمة يقول : « السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، الصلاة رحمكم الله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » وهذا نصّ منه ﷺ علىٰ أن المراد من أهل البيت في هذه الآية هم الخمسة ، قالوا : ولو كان المراد الزوجات الطاهرات لما قال : ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] . بضمير جمع الذكور ، بل كان اللازم أن

---

(١) ذخائر العقبىٰ لمحب الدين الطبري : ٢١ـ٢٢ .

يقال : ليذهب عنكن ويطهركن ، فأجابوا عن هذا بأن التذكير باعتبار لفظ الأهل ، فإن لفظه مذكر ، ولهذا قال ﴿عنكم﴾ ﴿ويطهركم﴾ والجمهور علىٰ أن المراد من أهل البيت في الآية ما يشمل الفريقين معاً عملاً بجميع الأدلة .

وقال ابن عطية : والذي يظهر لي أن زوجاته لا يخرجن عن ذلك ألبتة ، فأهل البيت زوجاته ، وبنته وبنوها وزوجها .

وقال النسفي : وفيه دليل على أن نساءه من أهل بيته ، وقال ﴿عنكم﴾ لأنه أراد الرجال والنساء من آله بدلالة : ﴿ويطهركم تطهيراً﴾ .

وعليه الزمخشري والبيضاوي وأبو السعود ، وهو كذلك في معالم التنزيل للإمام البغوي ، وفي الرواية التي ذكرها عن أم سلمة : « فقلتُ ألستُ منهم يا رسول الله؟ قال : بلىٰ » .

وقال الفخر الرازي بعد كلام : ثم إن الله تعالىٰ ترك خطاب المؤمنات وخاطب بخطاب المذكرين بقوله : ﴿ليذهب عنكم الرجس﴾ ليدخل فيه نساء أهل بيته ورجالهم ، واختلفت الأقوال في أهل البيت ، والأولى أن يقال هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم وعلي منهم لأنه كان من أهل بيته بسبب معاشرته بنت النبي ﷺ وملازمته .

وإلىٰ هذا النحو ذهب الإمام الواحدي في أسباب النزول ـ أي الآية شاملة للزوجات وأهل الكساء ـ وبهذا أخذ النيسابوري في التفسير ، وكذلك المقريزي أيضاً .

وقال المحقق ابن حجر في الصواعق : إن المراد بالبيت في الآية ما يشمل بيت النبي ﷺ وبيت سكناه ، فتشمل الآية أزواجه عليه الصلاة والسلام .

وأعمّ من هذا ما ذكره العلامة الخطيب في تفسيره فقال : واختلف في أهل البيت ، والأولىٰ فيهم ما قاله البقاعي : أنهم كل من يكون من ألزام النبي ﷺ من الرجال والنساء والأزواج والإماء والأقارب ، وكلما كان الإنسان منهم أقرب وبالنبي ﷺ أخص وألزم كان بالإرادة أحق وأجدر .

وخلاصة القول ـ حسب النبهاني ـ خمسة أقوال في المراد من أهل البيت :

أولها : قول الجمهور إنها شاملة للفريقين وهو الذي عليه الاعتماد .

الثاني : قول أبي سعيد الخدري من الصحابة وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة أن أهل البيت فيها هم أهل العباء خاصة .

الثالث : قول ابن عباس من الصحابة وعكرمة من التابعين أن المراد الزوجات الطاهرات .

الرابع : ما نقله ابن حجر في الصواعق عن الثعلبي من أنهم بنو هاشم ، علىٰ أن البيت يراد به بيت النسب ، فيكون العبّاس وأعمامه وبنو أعمامه منهم .

الخامس : ما نقله الخطيب الشربيني عن البقاعي ، قال وهو الأولى من أنهم : كل من يكون من ألزام النبي ﷺ من الرجال والنساء والأزواج والإماء والأقارب ، وكلّما كان الإنسان منهم أقرب وبالنبي ﷺ أخص وألزم كان بالإرادة أحق وأجدر[1] .

---

(١) بتصرف واختصار من الشرف المؤبد لآل محمد للنبهاني ١٨ـ٤٣ ، وللتوسع يراجع : تفسير ابن كثير : ٣/ ٤٨٥ ، الدر المنثور للسيوطي : ٥/ ١٩٨ ، تفسير الطبري : ٢٢/ ٦ ، مستدرك الحاكم على الصحيحين : ٣/ ١٤٨ ، صحيح مسلم : =

وبعد ذلك كله نقول يجب أن يكون ولاؤنا المطلق لآل البيت ، من خلال ولائنا المطلق لعمود آل البيت سيدنا رسول الله ﷺ الذي أمرنا الله سبحانه باتباعه والاقتداء به والسير علىٰ منهجه وصراطه القويم ، مرددين قول أحد المحبين :

واليـــــت آل محمـــــد وأخـــذت عنهـــم كـــل عـــاده
أنـــا لـــم أجـــد منهـــم إمـــا مـــاً مـــات وهْـــو علـــىٰ الـــوســـاده
حتـــىٰ الـــذي قـــد جـــاوز الـــــستيـــن لـــم يتـــرك جهـــاده
فهـــم الأئمـــة والهـــدا ة إلـــىٰ الصـــواب إلـــىٰ السعـــاده
وهـــم النجـــوم إذا ادلهـــــــمّ الخطـــب إنهـــم القيـــاده

* * *

= ٧/ ١٣٠ ، السنن الكبرى للبيهقي : ٢/ ١٤٩ ، جامع الأصول لابن الأثير : ١٠/ ١٠١ ، مسند أحمد : ٤/ ١٧٠ ، خصائص النسائي : ١٥ .

الفصل الثاني

حبّ آل البيت لا يعني بغض الصحابة!

إن المكانة السامية لآل بيت النبي ﷺ ، التي تجعل المسلم يعظمهم ويحترمهم ، كانت بسبب ما أعطاهم الله ورسوله من قدر واحترام ، فهم كما ذكر الفخر الرازي : أن أهل بيت النبي ﷺ ساووه في خمسة أشياء : في الصلاة عليه وعليهم في التشهد ، وفي السلام ، والطهارة ، وفي تحريم الصدقة ، وفي المحبة .

كل هذا يذكرنا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تمدح صحابة رسول الله ﷺ[1] . مثال ذلك قوله تعالىٰ : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح : ٢٩] .

ومن ثَمَّ لو عدنا إلى التاريخ والسير والتراجم لآل البيت والصحابة رضوان الله عنهم جميعاً ، لوجدنا عكس الفكرة السائدة عند بعض

---

(١) للتوسع في ذلك يراجع : فضائل الصحابة في ميزان الشريعة الإسلامية ، للمؤلف .

الجهّال ومفادها : أن هناك خلافاً كبيراً قد حدث بين الصحابة وآل البيت ، وكانت نتيجته أن ظلم الصحابة آل البيت!! وأكلوا حقوقهم!! وهذا يعني أنه لكي تحب آل البيت فلا بد أن تلهث وراء سلبيات بعض الصحابة!! ولابدّ أن تقتنع أن بغض الصحابة يعني حب آل البيت!! إنه كلام بعيد عن الصواب ولا يخضع للمحاكمة العقلية ولا للنصوص المنقولة .

ذلك لأن تاريخ الرعيل الأول من الأمة المسلمة يؤكد حب آل البيت للصحابة واحترام الصحابة لآل البيت وتوقيرهم . . . ، ولنضرب بعض الأمثلة من كتب التاريخ والسير والتراجم والأحاديث الشريفة :

١ـ عن أسيد بن صفوان ـ أحد الصحابة الكرام ـ قال : لما قُبض أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ ارتجفت المدينة ، فبكىٰ الناس كيوم قبض رسول الله ﷺ . فسجّوه ، وجاء علي بن أبي طالب باكياً مسرعاً متوجعاً ، وهو يقول : اليوم انقطعت خلافة النبوة ، حتى وقف علىٰ باب البيت الذي فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو مسجّىٰ ، فقال : رحمك الله يا أبا بكر ، كنت إلْف رسول الله ﷺ وأنيسه وثقته وموضع سرّه ومشاورته ، كنت أول القوم إسلاماً وأخلصهم إيماناً وأشدهم يقيناً وأخوفهم لله ، وأعظمهم عناء في دين الله ، وأحوطهم علىٰ رسول الله ﷺ ، وأحرصهم علىٰ الإسلام ، وأيمنهم علىٰ الصحابة وأحسنهم صحبة ، وأكثرهم مناقب ، وأفضلهم سبقاً وأرفعهم درجة وأقربهم وسيلة وأشبههم برسول الله ﷺ هدياً وسمتاً ورحمة وفضلاً وخلقاً ، وأشرفهم منزلاً وأكرمهم عليه وأوثقهم عنده ، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله ﷺ خيراً .

كنت عنده بمنزلة السمع والبصر ، صدّقت رسول الله ﷺ حين كذبه

الناس فسمّاك الله عز وجل في تنزيله صدّيقاً ، فقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر : ٣٣] . الذي جاء بالصدق محمد ﷺ وصدّق به أبو بكر رضي الله عنه ، وآسيته حين بخلوا ، وقمت معه في المكاره حين عنه قعدوا ، وصحبته في الشدة أحسن الصحبة ثاني اثنين ، وصاحبه في الغار ، والمنزّل عليه السكينة ورفيقه في الهجرة ، خلفته في دين الله أحسن الخلافة وقمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبي ، نهضت حين وهن أصحابك ، وبرزت حين استكانوا ، وقويت حين ضعفوا ولزمت مناهج رسول الله ﷺ إذا رغبوا عنها ، كنت خليفة حقاً ، نازعت برغم المنافقين وكبت الكافرين ، وكره الحاسدين وضعف الفاسقين وغيظ الباغين .

قمت بالأمر حين فشلوا ، ونطقت بالحق حين تعنتوا ، وكنت أخفضهم صوتاً وأبلغهم قولاً وأحزمهم رأياً ، وأشبعهم نفساً وأعرفهم بالأمور وأشرفهم عملاً ، كنت والله للدين يعسوباً[1] أولاً حين نفر الناس وآخراً حين أقبلوا عليه ، كنت للمؤمنين أباً رحيماً إذ صاروا عليك عيالاً ، فحملت أثقال ما ضعفوا عنه ورعيت ما أهملوا وحفظت ما أضاعوا لعلمك بما جهلوا إذ هلعوا وصبرت إذ جزعوا وراجعوا رشدهم برأيك ، فظفروا ونالوا بك ما لم يحتسبوا ، كنت للكافرين عذاباً ونهباً وللمؤمنين رحمة وخصباً ، لم تفلل حجتك ولم تضعف بصيرتك ، ولم تجبن نفسك ولم يرع قلبك ، كنت في الله كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف ، وكنت كما قال رسول الله ﷺ : « أمن الناس في صحبتك وذات يدك » وكما قال

---

(١) اليعسوب : أمير النحل ، وذكرُها ، والرئيس الكبير [القاموس المحيط : ١٤٧] .

أيضاً : « ضعيفاً في بدنك قوياً في أمر الله » متواضعاً في نفسك عظيماً عند الله ، جليلاً في أعين المتقين كبيراً في أنفسهم ، الضعيف عندك قوي عزيز حتىٰ تأخذ له بحقه ، والقوي العزيز عندك ضعيف ذليل حتىٰ تأخذ منه ، القريب والبعيد في ذلك سواء عندك ، أقرب الناس إليك أطوعهم لله ، قولك حكمة وأمرك حلم وحزم ورأيك علم وعزم ، أطفئت بك النيران ، واعتدل بك الحق ، وقوي الإيمان وثبت الإسلام وظهر أمر الله ولو كره الكافرون ، فجللت عن البكاء وعظمت رزيتك في السماء وهدت مصيبتك الأنام فإنا لله وإنا إليه راجعون ، رضينا من الله بقضائه وسلمنا له أمره ، فوالله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبداً ، كنت للدين عزاً وحرزاً وحزباً وكهفاً ، وللمؤمنين غيثاً وعلىٰ الكافرين غلظة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال : وسكت القوم حتىٰ انقضىٰ كلامه[1] .

. . . وفي العام (٢٣هـ) طعن أبو لؤلؤة المجوسي الفاروق عمر رضي الله عنه ، فماذا كان موقف الإمام علي رضي الله عنه ؟!

يقول التاريخ وهو يروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :

وُضع عمر بن الخطاب على سريره فتكنفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل أن يرفع ، وأنا فيهم ، فلم يرعني إلا رجل أخذ بمنكبي من ورائي فالتفت إليه فإذا هو علي رضي الله عنه فترحم علىٰ

---

(١) للتوسع في ذلك يراجع :

عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق للشيخ إبراهيم العبيدي : ١٦٧ ـ ١٦٩ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٦/ ٣٠١ ، تاريخ الطبري : ٣/ ٣٤٣ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٦٩ .

عمر رضي الله عنه وقال : ما خلفت أحداً أحب إليّ أن ألقىٰ الله بمثل عمله منك ، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك ، وذلك أني كنت أكثر ما أسمع رسول الله ﷺ يقول : جئت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ، فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما[1] .

وروىٰ ابن سعد ، وابن الجوزي ، والسيوطي ، وغيرهم عن ابن عمر قال : وضع عمر بين المنبر والقبر ، فجاء علي حتىٰ وقف بين الصفوف ، فقال : هو هذا ـ ثلاثاً ـ ثم قال : رحمة الله عليك ، ما من خلق الله أحد أحبّ إليّ من أن ألقاه بصحيفته بعد صحيفة رسول الله ﷺ من هذا المسجىٰ عليه ثوبه!

وقال علي رضي الله عنه : إذا ذُكر الصالحون فحيّهلا بعمر ، وكان رضي الله عنه يبكي عند موت عمر رضي الله عنه ، فقيل له في ذلك ، فقال : أبكي علىٰ موت عمر ، إن موت عمر ثلمة في الإسلام لا ترتق إلىٰ يوم القيامة[2] .

. . .وفي خلافة علي كرم الله وجهه ، والحرب قد استعرت بينه وبين معاوية بن أبي سفيان ، مرّ رجل من التابعين يقال له سعيد بن غفلة برجلين من أصحاب عليّ ينتقصان أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، فأخبر علياً بذلك ، فغضب غضباً شديداً حتىٰ استدرّ عرق بين عينيه ، ونودي بالصلاة جامعة ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال : تحفدت عليّ الجنود ، ووردت عليّ الوفود ، عند مستقر الخطوب وعند نوائب الدهر ، ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش وأبوي

---

(١) صحيح مسلم : ٧/ ١١٢ ، سنن ابن ماجه رقمه(٢٦) .

(٢) الطبقات الكبرىٰ : ١/ ٢٦٨ ، تاريخ الخلفاء : ٤٧ ـ ٤٨ .

المؤمنين ، بما ليسا من هذه الأمة بأهل ، وبما أنا عنه منزه ومنه بريء وعليه معاقب ، أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن تقي ولا يبغضهما إلا منافق ردي ، صحبا رسول الله ﷺ على الصدق والوفاء يأمران وينهيان وما يحاقدان فيما يضعان علىٰ رأي رسول الله ﷺ ، ولا كان رسول الله ﷺ يرىٰ بمثل رأيهما رأياً ولا يحب كحبهما أحداً .

مضىٰ رسول الله ﷺ وهو عنهما راض ، ومضيا والمؤمنون عنهما راضون ، أمر رسول الله ﷺ أبا بكر بصلاة المؤمنين فصلىٰ بهم سبعة أيام في حياة رسول الله ، فلما قبض الله عز وجل نبيه ﷺ واختار له ما عنده ولاه المؤمنون أمرهم وفوّضوا إليه الزكاة لأنهما مقرونتان ، ثم أعطوه البيعة طائعين غير كارهين ، أنا أول من سنّ ذلك من بني عبد المطلب وهو لذلك كاره يودّ أن أحدنا كفاه ذلك ، وكان والله خير من اتقىٰ ، أرحمه رحمة وأرأفه رأفة ، وأثبته ورعاً ، وأقدسه سناً وإسلاماً ، شبهه رسول الله ﷺ بميكائيل رأفة ورقة ، وبإبراهيم عفواً وقدراً ، فسار فينا سيرة رسول الله ﷺ حتىٰ مضىٰ علىٰ ذلك .

ثم ولّي عمر الأمر من بعده ، فمنهم من رضي ومنهم من كره ، فلم يفارق الدنيا حتىٰ رضي به من كرهه ، فأقام الأمر علىٰ منهاج النبي ﷺ وصاحبه يتبع آثارهما اتباع الفصيل أمه ، وكان والله رفيقاً رحيماً وللمظلومين عزاً ورحماً وناصراً ، لا يخاف في الله لومة لائم ، ضرب الله بالحق علىٰ لسانه وجعل الصدق من شأنه ، حتىٰ كنا نظن أن ملكاً ينطق علىٰ لسانه ، أعزّ بإسلامه الإسلام ، وجعل هجرته للدين قواماً ، ألقىٰ الله له في قلوب المنافقين الرهبة ، وفي قلوب المؤمنين المحبة ، شبهه رسول الله ﷺ بجبريل فظاً علىٰ الأعداء ، وبنوح عليه السلام حنقاً مغتاظاً ، الضراء على طاعة الله آثر عنده في السرّاء علىٰ

معصية الله ، فمن لكم بمثلهما رضي الله عنهما ، ورزقنا المضي علىٰ سبيلهما فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا اتباع آثارهما والحب لهما. ألا من أحبني فليحبهما ، ومن لم يحبهما فقد أبغضني وأنا منه بريء. ولو كنت تقدمت إليكم في أمرهما لعاقبت علىٰ هذا أشد العقوبة ولكن لا ينبغي أن أعاقبه قبل التقدم ، ألا فمن أنبئت به يقول هذا بعد اليوم عليه ما على المفتري ، ألا وخير هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر وعمر ، ولو شئت لسمّيت الثالث لكم وأستغفر الله لي ولكم[1] .

. . . وفي سيدنا عثمان رضي الله عنه أقوال كثيرة صدرت عن الإمام علي ، يشم الإنسان من خلالها رائحة المودة والتّحاب والاحترام بين الصحابة الكرام وآل بيت رسول الله ﷺ .

من ذلك ما قاله علي عندما سأله أحدهم : ما تقول في عثمان؟

قال : ذاك امرؤ يُدعىٰ في الملأ ذا النورين . كان ختن ـ صهر ـ رسول الله ﷺ ، ولقد ضمن له رسول الله ﷺ بيتاً في الجنة .

ثم قال علي : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لو كان عندي أربعون بنتاً لزوجت عثمان واحدة بعد واحدة ، حتى لا يبقى منهن واحدة » .

ثم بيّن مدىٰ سمعه وطاعته لأوامر سيدنا عثمان فقال : لو سيّرني عثمان إلى كذا لسمعت وأطعت .

وروىٰ محمد بن حاطب قال : سمعت علياً رضي الله عنه يقول : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ [الأنبياء : ١٠١] . يعني عثمان .

وروىٰ قيس بن عباد قال : سمعت علياً يوم الجمل يقول : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان

---

(١) أخبار عمر لعلي وناجي الطنطاوي : ٤٦٠ـ٤٦٣ .

وأنكرت نفسي وجاؤوني للبيعة ، فقلت : ألا أستحي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله ﷺ : « ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة؟! » .

وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل في الأرض لم يدفن بعد ، فانصرفوا ، فلما دفن رجع الناس يسألون البيعة[1] .

هل بعد هذه النقول من كتب التاريخ يُقال لنا : إن هناك خلافاً كبيراً بين الخلفاء الثلاثة وبين الإمام علي؟! أو بعد هذا يُقال لنا إن علياً كان رجلاً يكره عمر أو عثمان أو الصدّيق أبا بكر؟! رضي الله عنهم جميعاً .

٢ـ لنستمع إلىٰ التابعي الكبير الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ وهو يقول : لما فرغ أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من قتال أهل الجمل ، دخل عليه عبد الله بن الكواء ، وقيس بن عبادة اليشكري ، فقالا : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت ، يضرب الناس بعضهم رقاب بعض ، أرأياً رأيته حين تفرقت الأمة واختلفت الدعوة؟ فإن كان رأياً رأيته أجبناك في رأيك ، وإن كان عهداً عهده إليك رسول الله ﷺ ، فأنت الموثوق به ، المأمون فيما حدثت عنه .

فقال : والله لئن كنت أول من صدق به لا أكون أول من كذب عليه ، أما أن يكون عندي عهد من رسول الله ﷺ فيه فلا والله لو كان عندي ما تركت أخا تيم وعدي[2] علىٰ منبر رسول الله ﷺ ، ولكن نبينا ﷺ لم يقتل قتلاً ولم يمت فجأة ، ولكنه مرض ليالي وأياماً ، فأتاه بلال ليؤذنه بالصلاة ، فيقول : « إيت أبا بكر » وهو يراني مكاني ، فلما

---

(١) للتوسع يراجع : البداية والنهاية لابن كثير : ٧/ ٢٣٥ ، تاريخ الطبري : ٤/ ٥٠٦ .

(٢) يقصد : أبا بكر وعمر رضي الله عنهما .

قبض ﷺ نظرنا في الأمر ، فإذا الصلاة علم الإسلام وقوام الدين ، فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا .

فولينا أمورنا أبا بكر فأقام بين أظهرنا ، الكلمة واحدة والأمر جامع ، لا يختلف عليه منا اثنان ، ولا يشهد منا أحد علىٰ أحد بالشرك ، وكنت آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأضرب الحدود بين يديه بسيفي وسوطي ، فلما حضرت أبا بكر رحمه الله الوفاة ظننت أنه لا يعدل عني لقرابتي من رسول الله ﷺ وسابقتي وفضلي ، فظن أبو بكر أن عمر أقوىٰ مني عليها ، ولو كانت أثرة لآثر بها ولده ، فولىٰ عمر علىٰ كراهة كثير من أصحابه ، فكنت لا فيمن رضي ولا فيمن كره ، فوالله ما خرج عمر من الدنيا حتىٰ رضي به من كان كرهه ، فأقام عمر رحمه الله بين أظهرنا والكلمة واحدة والأمر واحد ، لا يختلف عليه منا اثنان ، فكنت آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني ، وأضرب الحدود بين يديه ، بسوطي وسيفي أتبع أثره اتباع الفصيل أمه ، لا يعدل عن سبيل صاحبيه ولا يحيد عن سنتهما ، فلما حضرت عمر رضي الله عنه الوفاة ، ظننت أنه لا يعدل عني لقرابتي وسابقتي وفضلي ، فظن عمر أنه إن استخلف خليفة فعمل بخطيئته لحقته في قبره ، فأخرج منها ولده وأهل بيته ، وجعلها شورىٰ في ستة رهط منهم عبد الرحمن بن عوف ، فقال : هل لكم في أن أدع لكم نصيبي علىٰ أن أختار لله ولرسوله!

قلنا : نعم ، فأخذ ميثاقنا علىٰ أن نسمع ونطيع لمن ولاه ، وأخذنا ميثاقه علىٰ أن يختار لله ولرسوله ، فوقع اختياره علىٰ عثمان رضي الله عنه ، فنظرت فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي ، وإذا ميثاق قد أخذ لغيري ، فاتبعت عثمان وأديت إليه حقه. . . فلما قتل عثمان رضي الله

عنه ، نظرت فكنت أحق بها من جميع الناس ، فقالا : صدقت وبررت[1] .

٣ـ بل إن التاريخ ليؤكد تلك العلاقة الحميمة التي كانت قائمة بين عليّ وسائر الخلفاء الراشدين ، وفي هذا ردّ واضح علىٰ أولئك الواهمين ، لنأخذ مثالاً واحداً يبيّن العلاقة بين عمر وعلي رضي الله عنهما :

يروي ابن حجر والسيوطي وابن سعد وغيرهم ، أن الخليفة عمر بن الخطاب خطب أم كلثوم بنت الإمام علي من فاطمة الزهراء ومن أبيها علي رضي الله عنهم جميعاً ، فذكر علي لعمر صغرها .

فقال عمر : وجيهاً يا أبا الحسن فإني أرصد من كرامتها ما لم يرصده أحد ، فقال له علي : أنا أبعثها إليك ، فإن رضيتها فقد زوجتكما ، فتزوجها وجاء فجلس إلىٰ المهاجرين في الروضة وقال : زفّوني! فقالوا : بماذا يا أمير المؤمنين؟ قالوا : تزوجت أم كلثوم بنت علي .

ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل سبب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وصهري » وكان لي به عليه الصلاة والسلام النسب فأردت أن أجمع إليه الصهر .

وتزوجها علىٰ مهر أربعين ألفاً ، سنة سبع عشرة ، وولدت له زيداً الأكبر ورقية ، وتوفيت رضي الله عنها بعد وفاة عمر رضي الله عنه[2] .

وكانت مهمة علي في عهد عمر رضي الله عنهما أنه يعمل بصفة

---

(١) المحاسن والمساوىء للإمام البيهقي : ١/ ٨٠ ـ ٨٢ .

(٢) الإصابة : ٤/ ٤٩٢ ، الدر المنثور : ٣/ ٦٢ ، الطبقات الكبرىٰ : ١/ ١٩٥ .

مستشار أمين ولا سيما في المسائل الصعبة ، مثال ذلك : استشارة عمر له في تدوين التاريخ وأخذه برأيه ، وكذلك في تقسيم أرض السواد في العراق ، وكذلك فيما يجوز للخليفة أن يأخذه من بيت مال المسلمين وغيرها . .[1] .

٤ـ وعلىٰ هذا المنوال سار أولاد الإمام علي وأحفاده ، كيف لا وقد سمعوه يقول في أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعاً كلاماً رائعاً ينمّ على حبّ في الله ، من ذلك قوله : (كانا والله إمامَيْ هدي هاديين مهديين ، راشدين مرشدين ، مصلحين منجحين ، خرجا من الدنيا خميصين)[2] .

وقال رضي الله عنه : (جعل الله أبا بكر وعمر حجة علىٰ من بعدهما إلىٰ يوم القيامة فسبقا والله سبقاً بعيداً ، وأتعبا من بعدهما إتعاباً شديداً) .

وقال : (إن أبا بكر سبقني إلىٰ أربع لم أوتهن ولم أعتض منهن بشيء :

سبقني إلىٰ إفشاء السلام ، وقدم الهجرة ، ومصاحبته في الغار ، وأقام الصلاة وأنا يومئذٍ بالشعب يُظهر الإسلام وأخفيه ، وتستحقرني قريش وتستوفيه ، والله لو أن أبا بكر زال عن مزينة ما بلغ الدين العبرين ـ الجانبين ـ ولكان الناس كرعة ككرعة طالوت ، وإن الله عز وجل ذمّ الناس ومدح أبا بكر فقال : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ﴾ [التوبة : ٤٠] . فرحمة الله على أبي بكر وأبلغ روحه مني السلام) .

---

(١) للتوسع يراجع : علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين ، للمؤلف .

(٢) أي : هما عفيفان عن الأموال العامة للمسلمين .

لذا نرىٰ الإمام محمد بن علي ـ الباقر ـ رضي الله عنه يقول : أخبر أهل الكوفة عني أني بريء ممن تبرأ من أبي بكر وعمر!

وأما الإمام زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم جميعاً فقد قال : البراءة من أبي بكر وعمر براءة من علي ، فمن شاء فليتقدم ومن شاء فليتأخر!

وأما الإمام جعفر بن محمد ـ الصادق ـ رضي الله عنه فقد قال : ما أرجو من شفاعة علي إلا وأنا أرجو من شفاعة أبي بكر مثله ، وأنا بريء أمام الله من كل من تبرأ من أبي بكر وعمر!

وقال أيضاً : إني لأرجو أن ينفعني الله بقرابتي من أبي بكر ، ولقد اشتكيت شكاة فأوصيت إلىٰ خالي عبد الرحمن بن القاسم!

وقال أيضاً : ما أدري لأي جدّي أنا أرجىٰ ، لشفاعة أبي بكر أو علي بن أبي طالب ، ومن لم يسمّه الصدّيق فلا صدق الله حديثه!

وقال أيضاً : أبو بكر جدي وعمر ختني ، أفتراني أبغض جدي وختني؟!

وسُئل جعفر الصادق رضي الله عنه عن الصحابة فقال : إن أبا بكر الصديق مليء قلبه بمشاهدة الربوبية ، وكان لا يشهد مع الله غيره ، فمن أجل ذلك كان أكثر كلامه لا إله إلا الله ، وكان عمر يرىٰ كل ما دون الله صغيراً حقيراً في جنب الله ، وكان لا يرىٰ التعظيم لغير الله فمن أجل ذلك كان أكثر كلامه الله أكبر ، وعثمان كان يرىٰ ما دون الله معلولاً إذ كان مرجعه إلىٰ الفناء وكان لا يرىٰ التنزيه إلا لله ، فمن أجل ذلك كان أكثر كلامه سبحان الله ، وعلي بن أبي طالب كان يرىٰ ظهور الكون من الله وقيام الكون بالله ورجوع الكون إلىٰ الله ، فمن أجل ذلك كان أكثر كلامه الحمد لله!

وقال أبو الهدىٰ الصيادي رحمه الله : (وللإمام جعفر الصادق نسب لسيدنا أمير المؤمنين أبي بكر الصديق ، فإن أم الإمام جعفر هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن سيدنا أبي بكر الصديق ، ووالدة أم فروة المذكورة أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ، ولهذا كان جعفر الصادق رضي الله عنه يقول : ولدني الصديق مرتين!![1] .

وقال الإمام محمد بن علي بن الحسين ـ الباقر ـ : من جهل فضل أبي بكر وعمر جهل السنّة ، وإني أتولاّهما وأستغفر لهما ، وما رأيت أحداً من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما!

وروىٰ جابر الجعفي عن الباقر أنه قال : يا جابر بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر ، ويزعمون أني أمرتهم بذلك ، فأبلغهم أني إلىٰ الله بريء منهم ، والذي نفس محمد بيده لو ولّيت لتقربت إلىٰ الله بدمائهم لانالتني شفاعة محمد ﷺ إن لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما!

وقال الإمام أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه : قدمت المدينة ، فأتيت أبا جعفر محمد بن علي فقال : يا أخا العراق لا تجلس إلينا ، فجلست فقلت أصلحك الله ما تقول في أبي بكر وعمر؟! فقال : رحم الله أبا بكر وعمر ، قلت : إنهم يقولون بالعراق إنك تبرأ منهما ، فقال : معاذ الله كذبوا ورب الكعبة ، أو لست تعلم أن علياً زوج ابنته أم كلثوم بنت فاطمة من عمر بن الخطاب؟ وهل تدري من هي لا أبا لك؟

جدتها خديجة سيدة نساء أهل الجنة ، وجدها رسول الله ﷺ خاتم النبيين وسيد المرسلين ورسول رب العالمين ، وأمها فاطمة سيدة نساء

---

(١) التاريخ الأوحد للغوث الرفاعي الأمجد : ٨١ .

العالمين ، وأخوها الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وأبوها علي بن أبي طالب ذو الشرف والمنقبة في الإسلام ، فلو لم يكن لها أهلاً لا أبا لك لم يزوجها!![1] .

٥ـ ولقد أطلق الكثير من أئمة آل بيت رسول الله ﷺ علىٰ أولادهم اسمي أبا بكر وعمر ، وهذا دليل على الحب القائم بينهم ، مثال ذلك :

فمن أولاد الإمام علي بن أبي طالب : أبو بكر قتل مع الحسين في كربلاء ، وأمه ليلىٰ بنت مسعود النهشلي .

ومن أولاد علي أيضاً : عثمان ، أمه أم البنين بنت حزام بن خالد بن دارم ، واستشهد عثمان بن علي في كربلاء مع أخيه الحسين رضي الله عنهم جميعاً .

ومن أولاد علي أيضاً : عمر ورقية ، وكانا توءمين ، أمهما أم حبيب بنت ربيعة[2] .

كذلك فمن أولاد الإمام علي بن الحسين ـ السجّاد ـ : عمر ، وكان عمر هذا فاضلاً جليلاً ، وولي صدقات النبي ﷺ وصدقات علي ، وكان ورعاً سخيّاً[3] .

---

(١) للتوسع يراجع : الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية : ١/ ٩٥ ، عمدة التحقيق للشيخ إبراهيم العبيدي : ٢٠٧ ، المناقب للمكي : ٢/ ١٦٥ ، المحاسن والمساوىء للبيهقي : ١/ ٥٥ ، الرياض النضرة في مناقب العشرة للطبري : ١/ ٦٥ ، مختصر الموافقة للزمخشري : ٦٧ ، والبداية والنهاية لابن كثير : ٧/ ٨١ ، نهج البلاغة : ١٩٢ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٣/ ٥٥ ، سيرة عمر لابن الجوزي : ٩٣ ، تاريخ اليعقوبي : ١٦٧ ، كنز العمال : ٧/ ١٠٥ .

(٢) البداية والنهاية : ٧/ ٣٣٢ .

(٣) البداية والنهاية : ٧/ ٨١ .

ونجد ذلك في الكتب المعتمدة عند علماء الشيعة ، وعلىٰ رأسهم المحقق أبو الحسن علي بن عيسىٰ أبي الفتح الأربلي في كتابه الموثق (كشف الغمة في معرفة الأئمة) الذي يقول في فصل فضائل علي : وأما أولاده فكذا وكذا ـ ونقل منها ما قلناه سابقاً ـ ثم يقول في فصل فضائل الإمام الحسن بن علي : ومن أولاده الذكور : أبو بكر[1] .

إذاً : حب آل بيت رسول الله ﷺ يوجب اتباعهم في حبهم لصحابة رسول الله ولا سيما أبي بكر وعمر وعثمان وأزواج النبي صلوات الله عليه .

* * *

(١) كشف الغمة للأربلي : ٢/ ٦٧ و٣/ ٢٨ وللتوسع في هذه المسألة يراجع : علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين ، للمؤلف .

الفصل الثالث

كيف كان السلف الصالح مع آل البيت؟

في تاريخ صحابة رسول الله ﷺ نرى عجباً ، من شدة ما كانوا ينظرون بكل حب واحترام لآل بيت رسول الله ، لأن عمود آل البيت هو الحبيب محمد ﷺ ، من ذلك ما رواه الإمام مسلم عن يزيد بن حيان قال : انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمرو بن مسلم إلىٰ زيد بن أرقم رضي الله عنه ، فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً!! رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه ، وغزوت معه ، وصلّيت خلفه ، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً!! حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ، قال : يا بن أخي ، والله لقد كبرتْ سِنّي ، وقَدُم عهدي ، ونسيتُ بعضَ الذي كنتُ أعي عن رسول الله ﷺ ، فماحدَّثتكم فاقبلوا ، وما لا فلا تكلفونيه ، ثم قال : قام رسولُ الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعىٰ (خُماً) بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ووعظ وذكّر ثم قال :

« أما بعد : ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتابُ الله فيه الهدىٰ والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله ورغّب فيه ، ثم قال : « وأهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي » .

فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟

قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حُرم الصدقة بعده ، قال : ومن هم؟

قال : هم آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس ، قال : كل هؤلاء حُرم الصدقة .

قال : نعم .

ومن ذلك ما رواه ابن عساكر عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : كان النبي ﷺ إذا جلس جلس أبو بكر عن يمينه ، وعمر عن يساره ، وعثمان بين يديه وكان كاتب سرّ رسول الله ، فإذا جاء العباس بن عبد المطلب تنحّىٰ أبو بكر وجلس العباس مكانه[1] .

وأخرج ابن عساكر عن ابن شهاب قال : كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في ولايتهما لا يلقىٰ العباس منهما واحد وهو راكب إلا نزل عن دابته وقادها ، ومشىٰ العباس حتى بلّغه منزله أو مجلسه ، فيفارقه[2] .

وأخرج أحمد والطبراني عن رباح بن الحارث قال : جاء رهط إلىٰ علي رضي الله عنه بالرّحبة ـ محل بالكوفة ـ قالوا : السلام عليك يا مولانا ، فقال : كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا : سمعنا رسول الله ﷺ يوم غدير خّم يقول :

« من كنت مولاه فهذا مولاه » قال رباح : فلما مضوا تبعتهم

---

(١) منتخب كنز العمال : ٥/ ٢١٤ .

(٢) كنز العمال : ٧/ ٦٩ .

فقلت : من هؤلاء؟ قالوا : نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري[1] .

وأخرج ابن عساكر عن عروة رضي الله عنه أن رجلاً وقع في عليّ بمحضر من عمر رضي الله عنهما ، فقال عمر : تعرف صاحب هذا القبر ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب بن عبد المطلب لا تذكر علياً إلا بخير ، فإنك إن آذيته آذيت هذا في قبره[2] .

وأخرج أحمد عن عبد الله الجدلي قال : دخلت علىٰ أم سلمة رضي الله عنها فقالت لي :

أيُسب رسول الله ﷺ فيكم؟ قلت : معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها .

قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سبّ علياً فقد سبني »[3] .

وأخرج ابن عساكر عن أبي البختري قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب علىٰ المنبر ، فقام إليه الحسين بن علي رضي الله عنهما ، فقال : انزل عن منبر أبي ، قال عمر : منبر أبيك لا منبر أبي ، من أمرك بهذا؟

فقام علي رضي الله عنه فقال : ما أمره بهذا أحد! أما لأوجعنّك يا غُدَر! فقال : لا توجع ابن أخي فقد صدق منبر أبيه[4] .

وأخرج أحمد عن عمير بن إسحاق قال : رأيت أبا هريرة رضي الله عنه لقي الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال له : اكشف عن بطنك

---

(١) مجمع الزوائد : ٩/ ١٠٤ .
(٢) منتخب كنز العمال : ٥/ ٤٦ .
(٣) مجمع الزوائد : ٩/ ١٣٠ .
(٤) كنز العمال : ٧/ ١٠٥ .

حيث رأيت رسول الله ﷺ يقبّل منه ، فكشف عن بطنه فقبّله[1] .

وأخرج الطبراني عن المقبري قال : كنا مع أبي هريرة رضي الله عنه فجاء الحسن بن علي رضي الله عنهما فسلّم فرد عليه القوم ، ومعنا أبو هريرة رضي الله عنه لا يعلم ، فقيل له : هذا حسن بن علي يسلّم ، فلحقه فقال : وعليك يا سيدي ، فقيل له : تقول : يا سيدي ، فقال : أشهد أن رسول الله ﷺ قال : « إنه سيد »[2] .

وأخرج ابن عساكر عن عمار بن أبي عمار أن زيد بن ثابت رضي الله عنه ركب يوماً ، فأخذ ابن عباس رضي الله عنهما بركابه ، فقال : تنحّ يا بن عم رسول الله ﷺ ، فقال : هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا ، فقال زيد : أرني يدك ، فأخرج يده ، فقبّلها فقال : هكذا أُمرنا أن نفعل بأهل نبينا[3] .

كل هذا الحب لآل البيت كان سببه ما سمعه الصحابة الكرام من فم سيدنا رسول الله ﷺ ، مثال ذلك : « أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه ، وأحبوني بحب الله ، وأحبوا أهل بيتي بحبّي »[4] .

---

(١) مجمع الزوائد : ٩/ ١٧٧ ، كنز العمال : ٧/ ١٠٤ .

(٢) مجمع الزوائد : ٩/ ١٧٨ ، مستدرك الحاكم : ٣/ ١٦٩ .

(٣) طبقات ابن سعد : ٤/ ١٧٥ ، الإصابة : ٢/ ٣٣٢ ، كنز العمال : ٧/ ٣٨ ، وللتوسع يراجع : الرياض النضرة للمحب الطبري : ٢/ ١٩٩ ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ٢/ ١١٠ ، المناقب لابن المنازلي : ٢٤٢ ، ذخائر العقبى للمحب الطبري : ٦٤ ، الخصائص للنسائي : ٢٠٩ ، العقد الفريد لابن عبد ربه : ٥/ ٥٩ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي : ١٧٠ ، تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري : ٢/ ١١٧٢ .

(٤) سنن الترمذي : رقمه (٣٧٨٩) ، مستدرك الحاكم : ٣/ ١٦٢ ، الطبراني في الكبير : ٣/ ٣٩ .

وروىٰ أبو هريرة أنه سمع النبي صلوات الله عليه يقول : « خيركم خيركم لأهلي من بعدي » .

وأخرج الطبراني وغيره أن النبي ﷺ قال : « لا يؤمن عبدٌ حتىٰ أكون أحبّ إليه من نفسه ، وتكونُ عترتي أحبّ إليه من عترته ، وأهلي أحبّ إليه من أهله ، وذاتي أحبّ إليه من ذاته » .

وأخرج الطبراني أن النبي ﷺ قال : « من اصطنع لأحدٍ من ولد عبد المطلب يداً فلم يكافئه بها في الدنيا فعليَّ مكافأته غداً يوم القيامة إذا لقيني » .

وأخرج ابن النجار في تاريخه عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل شيء أساس وأساس الإسلام حبّ أصحاب رسول الله ﷺ وحبُّ أهل بيته » .

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتىٰ يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن جسده فيم أبلاه ، وعن ماله فيم أنفقه ومن أين اكتسبه ، وعن حبنا أهل البيت » .

وقال رسول الله ﷺ : « خمسٌ من أوتيهُن لم يُعذر علىٰ ترك عمل الآخرة زوجةٌ صالحة ، وبنون أبرارٌ ، وحسن مخالطة الناس ، ومعيشة في بلده ، وحبُّ آل محمد ﷺ » .

كل هذا هو الدافع وراء حب الصحابة والأئمة الأعلام وبقية المسلمين لآل بيت رسول الله ﷺ ، وقد جاء الحديث في ذلك بشيء من الإسهاب ، مثال ذلك أن الإمام أبا حنيفة النعمان رضي الله عنه والىٰ إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم

جميعاً ، بل أفتىٰ الناس بلزوم وجودهم معه ومع أخيه محمد ، وكان ذلك سبباً في سجنه رضي الله عنه!![1] .

وهذا الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة والىٰ إبراهيم بن زيد بن علي زين العابدين رضي الله عنهم جميعاً ، وأفتىٰ الناس بلزوم وجودهم معه ، واختفىٰ من أجله عدة سنين!!

وأما الإمام الشافعي رضي الله عنه ، فقد حُمل إلى بغداد مكبلاً بالقيود بسبب شدة ولائه لآل الرسول ﷺ ، ووقع له في ذلك أمور يطول شرحها ، بل بلغ معه الحال في محبة آل البيت إلىٰ أن نسبه أهل الزيغ والضلال إلىٰ الرفض .

روىٰ ابن السبكي في طبقاته ، أن الربيع بن سليمان ـ صاحب الشافعي ـ قال : خرجنا مع الشافعي من مكة نريد منىٰ ، فلم ينزل وادياً ولم يصعد شعباً إلا وهو يقول :

يا راكباً قف بالمحصّب من منىً ... واهتف بقاعد خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلىٰ منىً ... فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حبُّ آل محمدٍ ... فليشهد الثقلان أني رافضي

وقد نصّ الشافعي رضي الله عنه علىٰ فريضة محبة آل البيت بقوله :

يا آل بيتِ رسول الله حُبُّكمُ ... فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكمُ من عظيم الفخر أنكمُ ... من لم يُصَلِّ عليكم لا صلاة له

ومن يسمع هذا الكلام وأمثاله هل يجرؤ أن يبغض واحداً من آل

---

(١) للتوسع يراجع : الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي : ٢٥٨ـ٢٦٠ .

بيت رسول الله ﷺ؟! الذين قال فيهم سيدنا رسول الله : « استوصوا بأهل بيتي خيراً فإني أخاصمكم عنهم غداً ، ومن أكن خصمه أخصمه الله ، ومن أخصمه الله أدخله النار » .

وأخرج أهل السنن : أن بنت أبي لهب ، لما هاجرت إلىٰ المدينة قيل لها : لن تغني عنك هجرتك أنت بنت حطب النار! فذكرت ذلك للنبي ﷺ فاشتد غضبه ، ثم قال علىٰ المنبر : « ما بال أقوامٍ يؤذوني في نسبي وذوي رحمي ، ألا ومن آذىٰ نسبي وذوي رحمي فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذىٰ الله » .

وأخرج الطبراني والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : يا بني عبد المطلب إني سألت الله لكم ثلاثاً : « سألته أن يثبت قائمكم ، وأن يُعلِّم جاهلكم ، ويُهدي ضالّكم ، فلو أن رجلاً صعد بين الركن والمقام فصلىٰ وصام ثم مات وهو مبغضٌ لأهل بيت محمد ﷺ دخل النار » .

وأخرج الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله قال : خطبنا رسول الله ﷺ ، فسمعته يقول : « أيها الناس من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً » .

وعن أبي سعيد الخدري ـ كما في المستدرك للحاكم ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يبغضنا أهل البيت أحدٌ إلا أدخله الله النار » .

وفي مسند الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال : « من أبغض أهل البيت فهو منافق » .

وقال صلوات الله عليه : « حُرّمت الجنة علىٰ من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي » .

وكذلك انتبه العلماء العاملون إلىٰ أن محبة آل البيت لا تجدي نفعاً إذا خالطها بغض أصحاب رسول الله ﷺ . قال العلامة النبهاني رحمه الله تعالىٰ :

(إن أصحابه ﷺ قد صحبوه في السّراء والضرّاء ، ولازموه في الشدة والرخاء ، وفدوه بالأموال والأرواح ، وجالدوا أمامه بالسيوف والرماح ، ووالوا من والاه ، وعادوا من عاداه ، ولو كان آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، وكانوا يحبون الخير لأقارب رسول الله أكثر من أقارب أنفسهم .

هذا سيدهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما أسلم أبوه يوم الفتح ، وهنأه رسول الله بذلك قال : والله لإسلام أبي طالب كان أحب إليَّ من إسلامه ، وما ذاك إلا لأني أعلم أنه أحب إليك يا رسول الله!

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أسلم العباس عم النبي ﷺ قال : والله لإسلامه أحبّ إليّ من إسلام الخطّاب ، لأنه أحب إلىٰ رسول الله ﷺ)[1] .

وقال الفخر الرازي : (قوله تعالى : ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورىٰ : ٢٣] . فيه منصب عظيم للصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم ، لأنه تعالىٰ قال : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة : ١٠ـ ١١] . فكل من أطاع الله كان مقرباً عند الله تعالىٰ ، فدخل تحت قوله : ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ .

والحاصل أن هذه الآية : تدل علىٰ وجوب حب آل رسول الله ﷺ ، وحبّ أصحابه ، وهذا المنصب لا يسلم إلا علىٰ قول أصحابنا أهل

---

(١) الشرف المؤبد لآل محمد ﷺ : ٢٢١ـ٢٢٢ .

السنة والجماعة الذين جمعوا بين حب العترة والصحابة ، قال ﷺ : « مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوحٍ من ركب فيها نجا » .

ونحن الآن في بحر التكليف ، وتضربنا أمواج الشبهات والشهوات ، وراكب البحر يحتاج إلىٰ أمرين : أحدهما السفينة الخالية من العيوب والثقب ، والثاني : الكواكب الظاهرة الطالعة النيرة ، فإذا ركب تلك السفينة ، ووقع نظره علىٰ تلك الكواكب ، كان رجاء السلامة غالباً ، فلذلك ركب أصحابنا أهل السنة سفينة حب آل محمد ﷺ ، ووضعوا أبصارهم علىٰ نجوم الصحابة ، فرجوا من الله تعالىٰ أن يفوزوا بالسلامة والسعادة في الدنيا والآخرة)[1] .

وهكذا تناقلت الأجيال جيلاً بعد جيل الأحاديث النبوية التي تبين فضائل الصحابة ، وقد تحدثت عن ذلك في مكان آخر[2] . من ذلك قوله صلوات الله عليه فيما رواه الطبراني : « إن الله اختارني واختار لي أصحابي وجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً فمن سبّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » .

وقال ﷺ : « الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذىٰ الله ، ومن آذىٰ الله يوشك أن يأخذه » .

وقال صلوات الله عليه : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من شتم الأنبياء ثم أصحابي ثم المسلمين » .

---

(١) التفسير الكبير ـ مفاتيح الغيب ـ : ١٤/١٦٨ .

(٢) فضائل الصحابة في ميزان الشريعة الإسلامية : الفصل الثاني ، للمؤلف .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا رأيتم الذين يسبّون أصحابي فقولوا لعنة الله على شرّكم » .

وقال ﷺ : « شفاعتي مُباحة إلا لمن سبّ أصحابي » .

وشرح ذلك علماء السلف الصالح من هذه الأمة ، من ذلك ما قاله العلامة ابن حجر الهيتمي في كتابه (أسنىٰ المطالب في صلة الأقارب) :

يلزم المسلم أن يتأدب مع صحابة رسول الله ﷺ وأهل بيته بالرضا عنهم ، ومعرفة فضلهم وحقهم ، والإمساك عما شجر بينهم ، مع نزاهة كل منهم عن ارتكابه شيئاً يعتقد حرمته ، بل كل منهم مجتهد ، فهم مجتهدون مثابون ، المحقّ منهم بعشرة أجور ، والمخطىء بأجر واحد والعقاب واللوم والنقص مرفوع عن جميعهم فتفطن لذلك وإلا زلت قدمك وحق هلاكك وندمك!

وقال السيوطي رحمه الله تعالىٰ في رسالة له سماها : (إلقام الحجر لمن زكىٰ ساب أبي بكر وعمر) :

اتفق المسلمون علىٰ فسق ساب مطلق الصحابة إذا لم يستحل ذلك وإذا استحله فهو كافر ، لأن أدنىٰ مراتبه أنه محرم وفسق ، واستحلال الحرام كفر إذا كان تحريمه معلوماً من الدين بالضرورة ، وتحريم سب الصحابة كذلك!

. . . وهو من الكبائر ، لأن الكبيرة علىٰ ما صححه المتأخرون : كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ، ورقة الديانة ، وممن صحح ذلك ابن السبكي في جمع الجوامع ، وسبهم كذلك ، وما أجرأ فاعله علىٰ الله تعالىٰ ورسوله ﷺ وأقلّ اكتراثه بالدين .

أظنّ الخبيث لعنه الله أن مثل هؤلاء يستحق السب ، وهو مبرأ تقي نقي مستأهل للمدح والثناء ، كلا والله بفيه الحجر ، بل إذا ظن أنهم يستحقون السبّ اعتقدنا أنه يستحق الحرق وزيادة!!

وقال العلامة المناوي في شرح قول النبي ﷺ : « من سبّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

هذا شامل لمن لابس القتل منهم ، لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون فسبهم كبيرة ، ونسبتهم إلىٰ الضلال أو الكفر كفر!!

وأما سب أحد الشيخين أو أحد الختنين رضي الله عنهم جميعاً ، فينقل السيوطي في رسالته السابقة عن الإمام السبكي فيقول :

ورأيت الشيخ تقي الدين السبكي صنف كتاباً سماه (خيرة الإيمان الجلي لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي) بسبب رافضي وقف في الملأ وسبّ الشيخين وعثمان وجماعة من الصحابة ، فاستتيب فلم يتب ، فحكم المالكي بقتله وصوّبه السبكي فيما فعل ، وألف في تصويبه الكتاب المذكور ، وذكر فيه عن القاضي حسين من أصحابنا وجهين فيمن سبّ أحد الشيخين أو الختنين :

يكفروا وإن لم يستحل ، لأن الأمة أجمعت علىٰ إمامتهم[1] .

والثاني : يفسق ولا يكفر ، ثم نقل الحنفية نقولاً كثيرة بعضها بالتكفير ، وبعضها بالتضليل ، ثم مال السبكي إلىٰ تصحيح التكفير لمآخذ ذكرها ، ثم نقل عن المالكية والحنابلة نقولاً كذلك!!

وصدق رسول الله ﷺ عندما قال : « رحم الله أبا بكر ، زوجني

---

(١) للتوسع في ذلك يراجع : الصواعق المحرقة في الرد علىٰ أهل البدع والزندقة لابن حجر الهيتمي : ٢٥٠ـ٢٥٥ .

ابنته ، وحملني إلىٰ دار الهجرة ، وأعتق بلالاً من ماله وما نفعني مال في الإسلام ما نفعني مال أبي بكر ، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرّاً ، لقد تركه الحق وما لَهُ من صديق ، رحم الله عثمان تستحييه الملائكة ، وجهّز جيش العسرة ، وزاد في مسجدنا حتىٰ وسعنا ، رحم الله علياً ، اللهم أَدِرِ الحق معه حيث دار » .

ولعل ما وصل إليه النبهاني رحمه الله من خلاصة الحب لآل البيت والصحابة رضي الله عنهم فيه الكثير من الفوائد ، قال : (جميع ما ثبت من فضل الصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم ، هو في الحقيقة من فضائل أهل بيت النبوة زيادة علىٰ ما نالوه من انتسابهم إلىٰ حضرة صاحب الرسالة من الفضل ، فإنهم صحابة جدهم الأعظم ﷺ لا صحابة نبي سواه ، وهم وإن كانوا في أنفسهم فضلاء نبلاء حائزين من كل وصف جميل محضه ولبابه ، إلا أن أفضليتهم علىٰ من سواهم من الأمة إنما هي لفوزهم بتلك الصحبة الشريفة التي لا يوازيها عمل عامل ، ولا اجتهاد مجتهد ، وما يلزمها من اقتباس الأنوار والأسرار ، فضلاً عن فدائهم له صلوات الله عليه بكل ما قدروا عليه من نفس ومال وولد ووالد وخوض كثير منهم أَمامه في غمار الحروب ، ومخالطتهم المنايا ، حتىٰ ظهر دين الله المبين ، وخفقت أعلامه في العالمين ، وإلا فإنا نجد في التابعين فمن بعدهم من هو أعلم وأعبد وأورع وأزهد وأكثر حرباً وجهاداً وطعاناً وجلاداً من بعض صغار الصحابة الذين لم تطل صحبتهم له ﷺ ، ولم يلازموه في كثير من مواطنه الشريفة وغزواته المظفرة .

ومع هذا فأقلهم فضلاً أفضل من أفضل التابعين ، ومن بعدهم إلىٰ يوم القيامة ، فتلخص أنه ﷺ هو الأصل الذي تفرع عنه فضل أصحابه رضوان الله تعالىٰ عنهم ، وكذا جميع ما ثبت لأهل البيت من الفضل هو

أيضاً يحسب من فضائل الصحابة الكرام زيادة علىٰ ما اتصفوا به من الفضل والفخر بصحبتهم له صلىٰ الله عليه وسلم ، فإنهم ذرية نبيهم الذي استنقذهم من ظلمات الشرك ، وزجّهم في أنوار التوحيد ، وفازوا بما فازوا به بسببه من السيادة الدنيوية والسعادة الأبدية ، وذريته ﷺ بعضه ، فكما أن فضل الكل وهو النبي ، هو زيادة في فضل أصحابه الذي هو متفرع عن فضله ، فكذلك بعضه وهم الذرية الطاهرة ، فإن فضلهم فرع عن فضله ﷺ .

فقد علمت أن أهل الفضلين فضل الذرية ، وفضل الصحابة ، هو رسول الله ﷺ ، وهما فرعان عن أصل واحد ، فمهما حصل لأحدهما من مدح أو ذم لابدّ وأن يتعدىٰ إلىٰ الآخر .

فلعنة الله علىٰ من فرق بينهما بولاء بعضهما ومعاداة بعضهم الآخر ، فإن من عادىٰ أحدهما لم ينفعه ولاء الآخر ، وكان عدو الله ورسوله ولمن التزم ولاءه أيضاً ، وانظر إلى سيدنا زيد بن علي زين العابدين رضي الله عنهما حين خرج على هشام بن عبد الملك فقد بايعه وقتئذٍ ناس كثير من أهل الكوفة ، وطلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر لينصروه ، فقال : كلا بل أتولاهما ، فقالوا : إذاً نرفضك ، فقال : اذهبوا فأنتم الرافضة ، فسموا رافضة من حينئذٍ ، وجاءت طائفة وقالوا : نحن نتولاهما ونتبرأ ممن يتبرأ منهما فقبلهم ، وقاتلوا معه فسموا الزيدية ، غير أنهم خلف من بعدهم خلف ، خرجوا عن مذهب زيد ، وبقي عليهم الاسم فقط .

فمن أراد سعادة الدارين ، فعليه بمحبة الطرفين ملتزماً في ذلك الطريق الشرعي غير حائد عن سنن السلف والخلف ، وهو مذهب أهل السنة السنية ، وهداة الملة الحنيفية ، أماتنا الله علىٰ ذلك غير مبدلين ، ولا مغيرين ، ولا مفتونين ، ولا فاتنين!!

قال ابن السبكي في الطبقات : قال الإمام عبد الله بن المبارك رضي الله تعالىٰ عنه :

إني امرؤ ليس في ديني لغامزه ... لينٌ ولست علىٰ الإسلام طعّانا
فلا أسبّ أبا بكر ولا عمراً ... ولنْ أسبّ ـ معاذ الله ـ عثمانا
ولا الزبيرَ حواريَّ الرسول ولا ... أُهْدي لطلحة شتماً عزّ أو هانا
ولا أقولُ عليٌّ في السحاب إذاً ... قد قلتُ والله ظلماً ثمّ عدوانا

ثم نردد مع الإمام يوسف النبهاني رحمه الله هذا الاعتقاد المتزّن ، الوسط ، المعتدل ، في آل البيت والصحابة معاً :

آل طه يا آل خير نبيٍّ ... جدُّكم خيرةٌ وأنتم خيارُ
أذهب الله عنكم الرجس أهل الـ ... ـبيت قِدْماً فأنتمُ الأطهارُ
لم يسلْ جدّكم علىٰ الدّين أجراً ... غير وُدِّ القربىٰ ونعم الإجارُ
حُبُّكمْ جُنّةٌ لكل فؤادٍ ... فيه حُبُّ الأصحابِ والبغض نارُ
رضي الله عنكمُ وأتمّ الـ ... ـنور فيكمْ وإن أبىٰ الكفّارُ[1]

أختم هذا الفصل ببعض أقوال كبار الصحابة في آل بيت رسول الله صلوات الله عليه[2] .

ذلكم الصدّيق أبو بكر يدعو المسلمين إلىٰ الاقتداء بأهل البيت ، ولزوم نهجهم ، وتقديرهم تقديراً يليق بمكانتهم السامقة التي رفعهم إليها الله ورسوله ، فيقول :

---

(١) ـ بتصرف واختصار ـ من الشرف المؤبد : ٢٣٢ـ٢٦٩ .
(٢) للتوسع يراجع : أهل بيت رسول الله لمحمد علي إسبر : ٤٦ـ٨١ .

ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته[1] .

ويُقسم بالله إن قرابة الرسول ﷺ أحبُّ إليه من قرابته ، فيقول : والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله أحبُّ إليَّ من أن أصل قرابتي[2] .

وانظر إليه يحمل الحسن بن علي علىٰ رقبته وهو يقول مغتبطاً ضاحك القسمات :

بأبي شبيهٌ بالنبي ليس شبيهاً بعلي!! وعلي يضحك[3] .

ويعطي الصدّيق رضي الله عنه وصفاً دقيقاً لمنزلة علي وفضله ، فيقول ذات مرة فيما رواه ابن حجر والدارقطني ـ عن الشعبي قال : بينما أبو بكر جالسٌ إذا طلع عليّ ، فلما رآه قال : من سرّه أن ينظر إلىٰ أعظم الناس منزلة ، وأقربهم قرابة ، وأفضلهم حالة ، وأعظمهم حقاً عند رسول الله ، فلينظر إلىٰ هذا الطالع[4] .

وهكذا ندور مع الناس الذين يسألون : من كان أحبَّ الناس إلىٰ رسول الله ﷺ؟

ولا ريب أن الجواب يكون مضبوطاً إذا كان من إحدىٰ أزواج النبي ﷺ .

تلكم السيدة عائشة رضي الله عنها ، وهي من أوثق الناس صلةً

---

(١) صحيح البخاري : ٥/٢٦ .
(٢) صحيح البخاري : ٥/٢٦ .
(٣) صحيح البخاري : ٥/٣٣ .
(٤) الصواعق المحرقة : ١٧٧ ـ ١٧٨ .

برسول الله ، فعن جُمَيْع قال : « دخلت مع أمي علىٰ عائشة ، وأنا غلام فذكرَتْ لها علياً ، فقالت :

ما رأيت رجلاً كان أحبَّ إلىٰ رسول الله ﷺ منه ، ولا امرأةً أحبَّ إلىٰ رسول الله من امرأته »[1] .

ويجزم سيدنا عمر رضي الله عنه بأنه لا يكمل شرفٌ لأحدٍ مهما سما قدرُهُ إذا لم يُوال علي بن أبي طالب رضي الله عنه!!

قال سعيد بن المسيب رحمه الله : قال عمر رضي الله عنه : تحبّبوا إلىٰ الأشراف وتوددوا ، واتقوا علىٰ أعراضكم من السَّفَلَة ، واعلموا أنه لا يتم شرفٌ إلا بولاية علي[2] .

ولنتابع مع سيدنا عمر رضي الله عنه ، ها هو يأتيه رجلان يختصمان في شأن ما ، فيلجأ عمر إلىٰ علي ويقول له : اقض بينهما يا أبا الحسن .

ويقضي علي رضي الله عنه بينهما ، ولكن الحكم لم يَرُقْ لأحدهما ، فيتلفظ بكلمات يرىٰ فيها الفاروق مساساً بعلي!! فيثور عمر علىٰ الرجل وهو يقول له : لك الويل ، إن علياً مولاي ومولاك . لكن من أين لعمر كل هذا؟!

روىٰ الترمذي والنسائي وابن حجر حديثاً متصلاً إلىٰ رسول الله ﷺ :

« ما تريدون من علي ، إن علياً مني وأنا من علي ، وهو وليُّ كل مؤمن بعدي »[3] .

---

(١) الخصائص للإمام النسائي : ٢١١ .

(٢) الصواعق المحرقة : ١٧٨ ، الخصائص : ٤٣ .

(٣) الخصائص للإمام النسائي : ١٦٦ ، الصواعق المحرقة : ١٧٩ .

ويتكرر مثل هذا الموقف من عمر رضي الله عنه ، قال ابن حجر الهيتمي : أخرج الدارقطني أن الحسن بن علي رضي الله عنهما استأذن علىٰ عمر ، فلم يأذن له ، فجاء عبد الله بن عمر فلم يأذن له ، فمضى الحسن ، فقال عمر : عليّ به ، فجاء فقال : يا أمير المؤمنين ، قلت : إن لم يُؤذنْ لعبد الله لا يؤذن لي!!

فقال : أنت أحق بالإذن منه[1] .

وفي خلافة الفاروق عمر رضي الله عنه يصرّح بكلام خطير ، لا يتحدث به إلا من هو أهل لتحمل المسؤولية ، فيقول : (أقضانا علي)[2] . ويقول : (لولا علي لهلك عمر)[3] .

وتحدث في زمن الخلفاء الراشدين قضايا عويصة لا تجد حلاً إلا عند أبي الحسن ، مثال ذلك ما رواه ابن القيم رحمه الله قال :

قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما : أُتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بامرأةٍ قد تعلّقتْ بشاب من الأنصار وكانت تهواه ، فلما لم يساعدها احتالت عليه فأخذت بيضةً ، فألقت صُفرتَها ، وصبّت البياض علىٰ ثوبها وبين فخذيها ، ثم جاءت إلىٰ عمر صارخةً فقالت : هذا الرجل غلبني علىٰ نفسي ، وفضحني في أهلي ، وهذا أثر فعاله .

---

(١) تاريخ بغداد : ١/ ١٤١ ، كنز العمال : ٧/ ١٠٥ ، الصواعق المحرقة : ١٨٠ .

(٢) صحيح البخاري : ٦/ ٢٣ ، الطبقات الكبرىٰ لابن سعد : ٢/ ٣٣٩ ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر : ٣/ ٣٨ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي : ١٧١ .

(٣) سنن أبي داود : ٢٨/ ١٤٧ ، وللتوسع في ذلك يراجع :
الرياض النضرة للمحب الطبري : ٢/ ١٧٠ ، الدر المنثور للسيوطي : ٣/ ١٢٧ ، صحيح مسلم : ٧/ ١٢٣ ، سنن الترمذي : ٥/ ٣٤ ، تاريخ الأمم والملوك للطبري : ٢/ ١١٧٢ .

فسأل عمر النساء ، فقلن له : إن ببدنها وثوبها أثر المني ، فهمَّ بعقوبته ، فجعل الشابُّ يستغيثُ ويقول : يا أمير المؤمنين ، تثبّتْ في أمري ، فوالله ما أتيتُ فاحشةً ، وما هممتُ بها ، هي راودتني عن نفسي فاعتصمتُ .

فقال عمر : يا أبا الحسن ، ما ترىٰ في أمرهما؟

فنظر عليّ إلىٰ ما علىٰ الثوب ، ثم دعا بماءٍ حارٍ شديد الغليان ، فصبّ علىٰ الثوب ، فجمد ذلك البياض ، ثم أخذه واشتمهُ ، فعرف رائحة البيض ، وزجر المرأة فاعترفت!![1] .

ويروي الشيخ مؤمن حسن الشبلخي رحمه الله فيقول : رُويَ أن رجلاً أُتي به إلىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان صَدَرَ منه أن قال لجماعة من الناس وقد سألوه : كيف أصبحت؟ قال : أصبحت أحبُّ الفتنة ، وأكره الحق ، وأصدِّق اليهود والنصارىٰ ، وأومن بما لم أره ، وأُقرُّ بما لم يُخلقْ!!

فأرسل عمر إلىٰ علي رضي الله عنهما ، فلما جاء أخبره بمقالة الرجل ، فقال : صدق .

وأما قوله : يحب الفتنة ، فقد قال الله تعالىٰ : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال : ٢٨] .

وأما قوله : يكره الحق : يعني الموت ، قال تعالىٰ : ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾ [ق : ١٩] .

وأما قوله : ويُصدق اليهود والنصارىٰ ، قال تعالىٰ : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ

---

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية : ٤٧ .

لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة : ١١٣] .

ويؤمن بما لم يره ، يؤمن بالله عز وجل .

ويُقرُّ بما لم يُخلق ، يعني الساعة ، فقال عمر : أعوذ بالله من معضلةٍ لا عليٌّ بها!!

قال سعيد بن المسيب رحمه الله تعالىٰ : كان عمر رضي الله عنه كثيراً ما يقول : اللهم لا تُبقني لمعضلةٍ ليس لها أبو الحسن[١] .

وفي زمن الخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه حدثت مشكلة من هذه المشكلات ، وكان الحلّ عند أبي الحسن رضي الله عنه :

عن محمد بن المنكدر ، أن خالد بن الوليد رضي الله عنه كتب إلىٰ أبي بكر أنه وُجِدَ رجلٌ في بعض ضواحي العرب ينكح كما تنكح المرأة ، وأنَّ أبا بكر جمع لذلك ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ كان فيهم علي بن أبي طالب أشدهم يومئذٍ قولاً ، فقال : إن هذا ذنبٌ لم تعمل به أمةٌ من الأمم إلا أمة واحدة ، خُضع بها ما قد علمتم ، أرىٰ أن تحرّقوه بالنار ، فكتب إليه أبو بكر أن يُحرّق بالنار!![٢] .

وفي زمن الخليفة عثمان رضي الله عنه تحدث قصة عجيبة ، يرويها الإمام السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) في ختام شرح قول الله تعالىٰ : ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الأحقاف : ١٥] . قال : وأخرج ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عن بعجة بن عبد الله الجهني ، قال : تزوج رجلٌ منّا امرأةً من (جهينة) ، فولدت له تماماً لستة أشهر ، فانطلق زوجها إلىٰ عثمان بن عفان فأمر برجمها .

---

(١) نور الأبصار : ٨٨ .
(٢) كنز العمال : ٣/٩٩ .

فبلغ ذلك علياً رضي الله عنه ، فأتاه ، فقال : ما تصنع؟

قال : ولدت تماماً لستة أشهر ، وهل يكون ذلك؟؟

قال علي : أما سمعت الله يقول : ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف : ١٥] .

وقال : ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

فكم تجده بقي إلا ستة أشهر؟؟

فقال عثمان : والله ما فطنت لهذا ، عليّ بالمرأة ، فوجدوها قد فُرِغ منها ، وكان من قولها لأختها : يا أخيّة لا تحزني ، فوالله ما كشف فرجي أحد قط غيره .

قال : فشبّ الغلام بَعْدُ ، فاعترف الرجل به ، وكان أشبه الناس به[1] .

ومثال آخر ، قصة جرت زمن الفاروق عمر رضي الله عنه ، يرويها المتقي الهندي الحنفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

وردت علىٰ عمر بن الخطاب واردةٌ قام منها وقعد ، وتغيّر ، وتربّد ، وجمع لها أصحاب النبي ﷺ فعرضها عليهم ، وقال : أشيروا عليَّ .

فقالوا جميعاً : يا أمير المؤمنين ، أنت المفزع وأنت المنزع .

فغضب عمر وقال : اتقوا الله ، وقولوا قولاً سديداً يُصلح لكم أعمالكم .

---

(١) الدر المنثور : ٧/ ٤٤١ .

فقالوا : يا أمير المؤمنين ، ما عندنا مما تسأل عنه شيء .

فقال : والله إني لأعرف أبا بجدتها ، وابن نجدتها ، وابن مفزعها ، وابن منزعها .

فقالوا : كأنك تعني ابن أبي طالب .

فقال عمر : لله هو ، وهل طفحت حُرّةٌ بمثله وأبْرَعتهُ . .؟؟ انهضوا بنا إليه .

فقالوا : يا أمير المؤمنين ، أتصير إليه؟ يأتيكَ هو .

فقال : هيهات ، هناك شجنةٌ من بني هاشم ، وشجنةٌ من الرسول ﷺ، وأثرةٌ من علم ، يُؤتىٰ لها ولا يأتي ، في بيته يُؤتىٰ الحَكَمُ .

فعطفوا نحوه ، فألفوه في حائطٍ له وهو يقرأ : ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة : ٣٦] . ويرددها ويبكي ، فقال عمر لشريح : حدِّث أبا الحسن بالذي حدثتنا به .

فقال شريح : كنت في مجلس الحكم ، فأتىٰ هذا الرجل ، فذكر أن رجلاً أودعه امرأتينْ : حرة مهيرة ، وأم ولد ، فقال له : أنفق عليهما حتىٰ أقدم ، فلما كان في هذه الليلة وضعتا جميعاً إحداهما ابناً ، والأخرىٰ بنتاً ، وكلتاهما تدّعي الابن ، وتنفي البنت من أجل الميراث ، فقال له : بم قضيتَ بينهما؟؟

فقال شريح : لو كان عندي ما أقضي به ، لم آتكم بهما!

فأَخذ علي رضي الله عنه نبتةً من الأرض ، فرفعها ، فقال : إن القضاء في هذا أيسر من هذه ، ثم دعا بقدح ، فقال لإحدىٰ المرأتين : احلبي ، فحلبت ، فوزنه ، ثم قال للأخرىٰ : احلبي ، فحلبت ، فوجده علىٰ النصف من لبن الأولىٰ .

فقال لها : خُذي أنت ابنتك ، وقال للأخرىٰ : خذي أنت ابنكِ!

ثم قال لشريح : أما علمت أن لبن الجارية علىٰ النصف من لبن الغلام ، وأن ميراثها نصف ميراثه ، وأن عقلها نصفُ عقله ، وأن شهادتها نصفُ شهادته ، وأن ديتها نصفُ ديته ، وهي علىٰ النصف من كل شيء!؟

فأُعجب به عمر إعجاباً شديداً ، ثم قال : أبا حسن ، لا أبقاني الله لشدةٍ لست لها ، ولا في بلد لست فيه!![1] .

نعم ، هكذا كان حبّ السلف الصالح لآل بيت رسول الله ، وذلك بعد أن عرفوا من خلال القرآن وأحاديث رسول الله صلوات الله عليه مكانتهم و... ، لذلك فلا عجب مطلقاً أن تكون العلاقة وطيدة وحميمة بين الصحابة والآل ، بل هذا هو الواجب والفرض لأن محبتهم وتوقيرهم من صميم الدين وصلبه .

يروي الحافظ الحاكم الحسكاني في ذيل قول الله تعالىٰ : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم﴾ [الطور : ٢١] . هذه القصة الرائعة :

حدثنا أبو النصر محمد بن مسعود بسنده عن الوليد بن محمد بن زيد بن جدعان ، عن عمه .

قال : قال ابن عمر رضي الله عنهما : إنا إذا عدّدنا قلنا : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان .

فقال رجلٌ : يا أبا عبد الرحمن ، فعليٌّ؟؟

فقال ابن عمر : ويحك ، علي من أهل البيت الذين لا يُقاس بهم

---

(١) كنز العمال : ٣/ ١٧٩ .

أحد ، عليٌّ مع رسول الله في درجته ، إن الله يقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم ﴾ [الطور : ٢١] . ففاطمة مع رسول الله في درجته ، وعلي معهما[١] .

وكذلك الإمام ابن الجوزي الحنبلي نراه يرفع علم الإخلاص والولاء لأهل البيت ، فيقول :

أبـــداً تحـــنّ إليكـــم الأرواح ... ولكـــم غـــدوٌّ فـــي العـــلا ورواحُ
يـا سـادة! لـولاهـم مـا لاح فـي ... أُفُـقِ المكـارم للفـلاح صبـاحُ
مـا الفضـل إلا مـا أحـلّ بحبكـم ... وعليكـــم مـــن نـــوره مصبـــاحُ
وحماكم حَرَمُ النجاة ، وحُبّكم ... للقـاصـديـن ، وللعفـاة مبـاحُ
وإليكـم كـلُّ الفضـائـل تنتمـي ... جـاءت أحـاديـث بـذاك صحـاحُ
يكفيكـــم يـــا آل طـــه مفخـــراً ... أن العُـلا عِقْـد لكـم ووشـاحُ
الله خصّكـــم بـــأشـــرف رتبـــة ... العجـــز عـــن إدراكهـــا إفصـــاحُ
وإذا تـــرنمـــت الأنـــام بحبّكـــم ... فلسـان ذكـري بـالثنـا صـدّاحُ[٢]

نسأل الله تعالىٰ أن يرزقنا حبّه ، وحبّ نبيه ، وحبّ آل بيته ، وحب صحابته ، وحبّ التابعين ، وحب جميع المؤمنين . وأن ينزع الحقد والبغضاء من قلوبنا أجمعين إنه علىٰ ما يشاء قدير .

* * *

(١) شواهد التنزيل : ٢/١٩٧ ، الرياض النضرة للمحب الطبري : ٢/٢٠٨ .
(٢) مولد العروس لابن الجوزي : ٢٧ ـ ٢٨ . .

الفصل الرابع

بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بآل البيت

١ـ ما هو حكم أخذ آل البيت من الصدقة المفروضة ، أو من صدقة التطوع؟

أجمع فقهاء المذاهب الأربعة علىٰ أنه لا يجوز دفع الزكاة المفروضة لآل بيت رسول الله ﷺ ودليلهم علىٰ ذلك أحاديث نبوية ، منها : « يا بني هاشم إن الله تعالىٰ حرم عليكم غُسالة الناس وأوساخهم ، وعوضكم عنها بخمس الخمس »[١] .

وفي رواية الإمام مسلم : « إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس ، وإنها لا تحل لمحمد ، ولا لآل محمد »[٢] .

لكن لهذه القاعدة استثناء ، وهو في حال مُنعوا من خمس الخمس عندئذ يجوز دفع الصدقة لهم ، وهذا القول هو المشهور عند فقهاء المالكية ، وبعض فقهاء الشافعية ، قال أبو سعيد الإصطخري الشافعي : (إن منعوا حقهم من الخمس جاز الدفع إليهم ، لأنهم إنما

---

(١) نصب الراية للزيلعي : ٢/ ٤٠٣ ، والحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي : ٧/ ١٨١ .

حرموا الزكاة لحقهم في الخمس ، فإذا منعوا وجب أن يدفع لهم)[1] .

وأما أخذ آل بيت رسول الله صلوات الله عليه من صدقات التطوع ففيها أقوال :

(الحنفية : قالوا بالجواز مطلقاً لأنها ليست من أوساخ الناس تشبيهاً لها بالوضوء علىٰ الوضوء .

لكن بعض الحنفية والشافعية ، والأظهر عند الحنابلة بالمنع مطلقاً .

وأما المالكية فقالوا بالجواز مع الكراهة جمعاً بين الأدلة)[2] .

وأما ما يتعلق بالكفارات والنذور وجزاء الصيد وعشر الأرض وغلة الوقف ، فللفقهاء آراء عديدة أهمها :

(ذهب الحنابلة إلىٰ جواز أخذ آل بيت رسول الله ﷺ من الوصايا لأنها تطوع .

وكذا النذور ، فأشبه لو وصىٰ لهم ، وعلىٰ ذلك يجوز لهم الأخذ لهم!!

أما الحنفية والمالكية والشافعية فقد قالوا : لا يحل لآل محمد ﷺ الأخذ مما ذكر لأنها أشبهت الزكاة ، إلا أن أبا يوسف رحمه الله من الحنفية أجاز غلّة الوقف لأنه بمنزلة الوقف علىٰ الفقراء ولم يسمّ بني هاشم)[3] .

وأما ما يتعلق بمسألة الأخذ من الغنيمة والفيء ، فإنها توزع خمسة

---

(١) المجموع : ٦/ ٢٧٧ .

(٢) للتوسع : فتح القدير : ٢/ ٢٥ ، المجموع : ٦/ ١٩٠ ، المغني : ٢/ ٥٢١ ، الموسوعة الفقهية الكويتية : ١/ ١٠٣ـ١٠٤ .

(٣) فتح القدير : ٢/ ٢٤ ، الموسوعة الفقهية الكويتية : ١/ ١٠٢ .

أقسام كما في قول الله تعالىٰ : ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنفال : ٤١] .

معنىٰ ذلك أن الغنيمة ـ وكذلك الفيء ـ تقسم خمسة أخماس : أربعة منها للغانمين والخامس لمن ذكرتهم الآية السابقة[1] .

لكن الفقهاء اختلفوا في مصرف الخمس بعد وفاة رسول الله ﷺ :

فالحنفية : إن الخمس الذي لله ولرسوله إلخ ، يقسم علىٰ ثلاثة أسهم : سهم لليتامىٰ ، وسهم للمساكين ، وسهم لأبناء السبيل ، ويدخل فقراء ذوي القربىٰ فيهم ، يعطون كفايتهم ، ولا يدفع إلىٰ أغنيائهم شيء .

وذوو القربىٰ الذين يدفع إلىٰ فقرائهم هم بنو هاشم وبنو المطلب ، والغني لا يخمس عندهم[2] .

وقال المالكية : إن خمس الغنيمة كلها والركاز والفيء والجزية وخراج الأرض المفتوحة عنوة أو صلحاً وعشور أهل الذمة محله بيت مال المسلمين ، يصرفه الإمام في مصارفه ، باجتهاده ، فيبدأ من ذلك بآل النبي عليه الصلاة والسلام استحباباً ، ثم يصرف للمصالح العائد

---

(١) للتوسع في شرح معاني هذه الآية يراجع :
الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٦/ ١٥٩ ، التفسير الكبير للرازي : ١١/ ٢٢٠ ، روح المعاني للألوسي : ٦/ ١٢٤ ، أحكام القرآن لابن العربي : ٢/ ٦١٧ ، التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي : ٦/ ١٩٢ ، الكشاف للزمخشري : ١/ ٦٢٩ .

(٢) حاشية ابن عابدين : ٣/ ٢٢٨ .

نفعها على المسلمين ، كبناء المساجد ، والفيء ولا يخمّس عندهم[1] .

وقال الشافعية ، وهو رواية عند الحنابلة : إن خمس الغنيمة الخامس يقسم خمسة أسهم :

الأول : سهم لرسول الله ﷺ ، ولا يسقط بوفاته ، بل يصرف بعده لمصالح المسلمين وعمارة الثغور والمساجد .

الثاني : سهم لذوي القربى ، وهم بنو هاشم وبنو المطلب ، دون بني عبد شمس وبني نوفل ، لاقتصاره ﷺ على بني الأولين مع سؤال بني الآخرين ، ولأنهم لم يفارقوه في جاهلية ولا إسلام .

ويشترك فيه الغني والفقير ، والرجال والنساء ، ويفضّل الذكر على الأنثى كالإرث ، وحكى الإمام الشافعي فيه إجماع الصحابة .

والأسهم الثلاثة الباقية لليتامى والمساكين وابن السبيل[2] .

والرواية الأخرى عن الإمام أحمد أن سهم رسول الله ﷺ يختص بأهل الديوان ، لأن النبي ﷺ استحقّه بحصول النصرة ، وعنه أنه يصرف في السلاح والكراع .

والفيء عند الشافعية ، وفي رواية عن الإمام أحمد ، يخمس ، ومصرف الخمس منه كمصرف خمس الغنيمة ، والظاهر عند الحنابلة أنه لا يخمّس ، ويكون لجميع المسلمين ، يصرف في مصالحهم[3] .

---

(١) الخرشي على مختصر سيدي خليل لمحمد بن عبد الله الخرشي المالكي : ٣/ ١٢٩ .

(٢) حاشية البجيرمي على الإقناع : ٤/ ٢٢٧ .

(٣) الشرح الكبير مع المغني : ١٠/ ٥٤٩ ، والمغني للعلامة ابن قدامة (ت٦٣٠هـ) والشرح الكبير لابن قدامة المقدسي (ت٦٨٣هـ) .

٢ـ هل يجوز لهاشميٍ أن يعطي زكاة ماله لهاشمي آخر؟

(يرىٰ أبو يوسف من الحنفية ، وهو رواية عن الإمام ، أنه يجوز للهاشمي أن يدفع زكاته إلىٰ هاشمي مثله ، قائلين إن قول النبي ﷺ : « يا بني هاشم ، إن الله كره لكم غُسالة أيدي الناس وأوساخهم ، وعوضكم منها بخمس الخمس »[١] ، لا ينفيه ، للقطع بأن المراد من (الناس) غيرُهم لأنهم المخاطبون بالخطاب المذكور ، والتعويض بخمس الخمس عن صدقات الناس لا يستلزم كونه عوضاً عن صدقات أنفسهم ، ولم نهتد إلىٰ حكم ذلك في غير مذهب الحنفية)[٢] .

٣ـ هل يجوز لهاشمي أن يأخذ من الصدقة ـ كأجر ـ إن عمل جابياً لها؟

(قال الحنفية في الأصح عندهم ، والمالكية ، والشافعية ، وبعض الحنابلة وهو ظاهر قول الخرقي : إنه لا يحل للهاشمي أن يكون عاملاً علىٰ الصدقات بأجر منها ، تنزيهاً لقرابة النبي ﷺ عن شبهة الوسخ ، ولما روىٰ عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث ، أنه اجتمع ربيعة والعباس بن عبد المطلب ، فقالا : لو بعثنا هذين الغلامين ـ لي وللفضل بن العباس ـ إلىٰ رسول الله ﷺ فأمّرهما علىٰ الصدقة ، فأصابا منها كما يصيب الناس ، فقال علي رضي الله عنه : لا ترسلوهما ، فانطلقنا حتىٰ دخلنا علىٰ رسول الله ﷺ ، وهو يومئذٍ عند زينب بنت جحش ، فقلنا : يا رسول الله ، قد بلغنا النكاح وأنت أبرّ الناس

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) الموسوعة الفقهية : ١/ ١٠٤ .

وأوصل الناس ، وجئناك لتؤمّرنا علىٰ هذه الصدقات ، فنؤدي إليك كما يؤدي الناس ، ونصيب كما يصيبون ، قال : فسكت طويلاً ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : « إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد ، إنما هي أوساخ الناس »[1] .

وفي قول للحنفية : إن أخذ الهاشمي العامل علىٰ الصدقات مكروه تحريماً لا حرام[2] .

وجوّز الشافعية أن يكون الحمّال والكيّال والوزّان والحافظ هاشمياً أو مطلبياً[3] .

وأكثر الحنابلة علىٰ أنه يباح للآل الأخذ من الزكاة عمالة ، لأن ما يأخذونه أجر .

فجاز لهم أخذه ، كالحمّال وصاحب المخزن إذا آجرهم مخزنه[4])[5] .

٤ـ ما حكم من سبّ النبي صلوات الله عليه أو أصحابه أو آل بيته؟

قال القاضي عياض رحمه الله (ت٥٤٤) : (اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سبّ النبي ﷺ ، أو عابه ، أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه ، أو خصلةٍ من خصاله ، أو عرّض به ، أو شبّهه بشيء ، علىٰ طريق السبّ له ، أو الإزراء عليه ، أو التصغير لشأنه ، أو الغضب

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) فتح القدير : ٢/ ٢٤ ، حاشية ابن عابدين : ٢/ ٦١ .
(٣) حاشية ابن عابدين : ٢/ ٦١ .
(٤) المغني لابن قدامة : ٢/ ٥٢٠ .
(٥) الموسوعة الفقهية : ١/ ١٠٥ .

منه ، والعيب له ، فهو سابٌّ له ، والحكم فيه حكم السابّ ، يقتل .

وكذلك من لعنه أو دعا عليه ، أو تمنّىٰ مضرةً له ، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه علىٰ طريق الذم ، أو عبث ـ هزل ـ في جهته العزيزة بسُخف من الكلام وهُجْر ـ فحش ـ ومنكر من القول وزور ، أو عيّره بشيء مما جرىٰ من البلاء والمحنة عليه ، أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه .

وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوىٰ من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلىٰ هَلُمّ جرّا .

وقال ابن المنذر : أجمع أهل العلم علىٰ أنّ من سبّ النبي ﷺ يُقتل ، وممن قال ذلك مالك بن أنس ، والليث ، وأحمد ، وإسحاق ، وهو مذهب الشافعي .

وعلق القاضي عياض علىٰ ذلك بقوله : وهو مقتضىٰ قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ولا تقبل توبته عند هؤلاء المذكورين .

وبمثله قال أبو حنيفة ، وأصحابه ، وسفيان الثوري (ت١٦١هـ) ، وأهل الكوفة ، والأوزاعي ، في المسلم ، لكنهم قالوا : هي ردّة[1] .

---

(١) فقط الفرق بين القولين : أن القول الثاني ـ الحنفية ومن معهم ـ بأنه يستتاب ثلاثة أيام كالمرتد ، وهذا القول مأخوذ عن عمر رضي الله عنه ، فإن تاب فلا بأس وإلا قتل ، وأما أصحاب القول الأول ـ كالمالكية ومن معهم ـ فعندهم يقتل دون أن يستتاب ، والحجج في قتله كثيرة منها : أن من سبّ رسول الله وشتمه فإنه قد آذىٰ الله ، ومن آذىٰ الله لعنه ، ومن لعنه استوجب الكفر الذي يُقتل به ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب : ٥٧] .

وفي صحيح البخاري : ١١٧/٥ قصة قتل كعب بن الأشرف ، وأبي رافع الحقيق ، وابن خطل . .

. . . ثم قال القاضي عياض : هذا حكم المسلم ، فأما الذمّي إذا صرّح بنسبه أو عرّض . أو استخفّ بقدْرِه ، أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به ، فلا خلاف عندنا في قتله إن لم يُسلم ، لأنا لم نعطه الذمة أو العهد علىٰ هذا .

وهو قول عامة الفقهاء ، إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما من أهل الكوفة ، فإنهم قالوا : لا يُقتل ، ما هو عليه من الشرك أعظم ، ولكن يؤدّب ويعزّر) .

وأما من سبّ صحابة رسول الله ﷺ!!

فنُقل عن الإمام مالك رحمه الله في قوله : من شتم النبي ﷺ قُتل ، ومن شتم أصحابه أُدّب .

وقال أيضاً : من شتم أحداً من أصحاب النبي ﷺ : أبا بكر ، أو عمر ، أو عثمان ، أو معاوية ، أو عمرو بن العاص ، فإن قال : كانوا علىٰ ضلالة وكفر قُتل ، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نُكّل نكالاً شديداً .

وقال أيضاً : من سبّ أبا بكر رضي الله عنه جُلد ، ومن سبّ عائشة رضي الله عنها قُتل ، قيل له : لِمَ؟

قال : من رماها فقد خالف القرآن[1] .

= وللتوسع يراجع : الدر المختار : ١/ ٥٨٦ .

(١) للتوسع في قصة الإفك يراجع :

تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٣/ ٢٦٨ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٢/ ٢١٢ ، التفسير الكبير للرازي : ٢٣/ ١٨٧ ، الكشاف للزمخشري : ٢/ ٣٨٠ .

وقال ابن شعبان رحمه الله : ومن سبّ غير عائشة رضي الله عنها من أزواج النبي ﷺ ، ففيها قولان :

أحدهما ـ يُقتل ، لأنه سبّ النبي ﷺ بسبّ حليلته ـ زوجته ـ .

والآخر ـ أن زوجاته كسائر الصحابة ، يُجلد حدّ المفتري ، قال : وبالأول أقول)[1] .

وأما من سبّ آل بيت رسول الله ﷺ :

فحكمه كحكم من سبّ واحداً من أصحاب رسول الله ﷺ .

(أجمع فقهاء المذاهب علىٰ أن من شتم أحداً من آله ﷺ مثل مشاتمة الناس فإنه يضرب ضرباً شديداً وينكل به ، ولا يصير كافراً بالشتم)[2] .

٥ـ ما هو حكم الانتساب إلىٰ آل بيت رسول الله كذباً؟

لما لهذا النسب الطاهر من مزية وشرف ، راح بعضهم يلصق نفسه بهذا النسب! لذلك شدد الفقهاء في هذه المسألة :

(فروي عن الإمام مالك رحمه الله فيمن انتسب إلىٰ بيت النبي ﷺ يُضرب ضرباً وجيعاً ، ويُشهّر[3] ويُحبس طويلاً حتىٰ تظهر توبته ، لأنه استخفاف بحق الرسول ﷺ)[4] .

وقال العلامة شهاب الدين الخفاجي رحمه الله : (ومن ادعىٰ أنه من

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ : ٢/١٠٤٦ـ١١١٤ ـ في مواضع متفرقة منه ـ .
(٢) الموسوعة الفقهية : ١/١٠٧.
(٣) أي : يطاف به في الأسواق ليعلم الناس حاله ، ويشتهر ضلاله لئلا يقتدي به غيره .
(٤) الشفا : ٢/١١١٣.

أهل البيت وهو ليس منهم وأثبت له انتساباً لهم يستحق النكال والتشهير ، وقد ورد في الحديث أنه ﷺ قال : « أيما رجل ادّعىٰ إلىٰ غير أبيه فقد كفر »[1] .

وهذا يدل علىٰ عظيم هذا ، وأنه يشدد فيه ، وقد كثر هذا في زماننا هذا وتساهل الناس فيه ودخلوا في هذا النسب الطاهر وادّعاه كثير من الأشرار ، وتسارع القضاة بذلك إلىٰ إثبات الأنساب .

٦ـ ما هو حكم الصلاة والسلام علىٰ آل بيت رسول الله ﷺ؟

هناك خلاف فقهي في هذه المسألة كما يلي :

أ ـ الشافعية والحنابلة قالوا : الصلاة علىٰ الآل واجبة ، ودليلهم علىٰ ذلك ما رواه كعب بن عجرة قال : إن النبي ﷺ خرج علينا ، فقلنا : يا رسول الله ، قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك؟

قال : قولوا : « اللهم صل علىٰ محمدٍ وآل محمد ، كما صليت علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد »[2] .

فقد أمر الرسول ﷺ بالصلاة عليه وعلىٰ آله ، والأمر يقتضي الوجوب .

---

(١) للحديث الشريف روايات عديدة : مسند الإمام أحمد : ٣١٨/١ ، سنن الدارمي : ٣٤٤/٢ ، جمع الجوامع للسيوطي رقمه (٩٤٥٧) .

(٢) صحيح البخاري : ١٥١/٦ ، مستدرك الحاكم : ١٤٨/٣ ، مسند الإمام أحمد : ٤٧/٢ ، السنن الكبرىٰ للبيهقي : ١٤٧/٢ .

ب ـ الحنفية وقول آخر للشافعية والحنابلة بأنها سنة ، ودليلهم علىٰ ذلك :

أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه علمه النبي ﷺ التشهد ثم قال له :

« إذا قلت هذا ، أو قضيت هذا ، فقد تمت صلاتك » وفي لفظ : « فقد قضيت صلاتك فإن شئت أن تقوم فقم »[1] .

جـ ـ وقول عند المالكية : أن الصلاة علىٰ الآل تبعاً فضيلة :

قال القاضي عياض في ذلك : (والذي ذهب إليه المحققون ، وأميل إليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله ، ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، واختاره غير واحد من العلماء والمتكلمين ، أنه لا يصلّىٰ علىٰ غير الأنبياء عند ذكرهم ، بل هو شيء يختص به الأنبياء توقيراً لهم وتعزيراً ـ تعظيماً ـ كما يُخص الله تعالىٰ عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ، ولا يشاركه فيه غيره ، كذلك يجب تخصيص النبي ﷺ وسائر الأنبياء بالصلاة والتسليم ، ولا يشارك فيه سواهم ، كما أمر الله به بقوله : ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

ويُذكر مَنْ سواهم من الأئمة وغيرهم بالغفران والرضا ، كما قال الله تعالىٰ : ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ [الحشر : ١٠] .

وقال : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود : ١/٣٦٧ ، وللتوسع في ذلك يراجع :
الشرح الكبير مع المغني : ١/٥٨٣ ، حاشية ابن عابدين : ١/٤٧٨ ، معالم السنن للخطابي : ١/٢٢٩ ، فيض القدير : ٤/٥٢٩ .

وأيضاً فهو أمرٌ لم يكن معروفاً في الصدر الأول ـ عصر الصحابة ـ كما قال أبو عمران ، وإنما أحدثته الرافضة ، والمتشيّعة في بعض الأئمة ، فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة ، وساووهم بالنبي ﷺ في ذلك!!

وأيضاً ، فإن التشبّه بأهل البدع منهيٌّ عنه ، فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك .

وذكر الصلاة علىٰ الآل والأزواج مع النبي ﷺ بحكم التبع والإضافة إليه لا علىٰ التخصيص .

وصلاة النبي ﷺ علىٰ من صلّىٰ عليه مُجراها مَجرىٰ الدعاء والمواجهة[1] ليس فيها معنىٰ التعظيم والتوقير .

قالوا : وقد قال تعالىٰ : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور : ٦٣] .

فكذلك يجب أن يكون الدعاء له مخالفاً لدعاء الناس بعضهم لبعض .

وهذا اختيار الإمام أبي المظفر الإسفراييني من شيوخنا ، وبه قال ابن عبد البر)[2] .

لكن العلامة الخفاجي وهو شارح كتاب القاضي عياض (الشفا) قال : (واعلم أن التصلية والتسليم علىٰ نبينا ﷺ مطلوبة ، أمرنا بالتعبد بها ، فهي واجبة له علىٰ اختلاف محل الوجوب كما تقدم ، والصلاة علىٰ غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أيضاً استقلالاً مستحبة ،

---

(١) أي : حسن المقابلة حال العشرة .

(٢) الشفا : ٢/ ٦٦٥

وما نقل عن مالك رحمه الله أنها منهي عنها مخالف للقول الصحيح .

وقال القرطبي : إنه مجمع عليه ، والصلاة علىٰ غير الأنبياء تبعاً لنبينا ﷺ مستحبة أيضاً ، كما في التشهد ، فلا عبرة بمن خالف فيه أيضاً ، فلم يبق محل الخلاف غير الصلاة علىٰ غير الأنبياء بانفرادهم ، فالصحيح أنه مكروه ، وأنه كراهته كراهة تنزيه لا تحريم ، لأنه اختص به النبي ﷺ كما اختص (عز وجل) بالله تعالىٰ ، هذا هو الصحيح ، فلا يعتد بخلافه .

وقد قيل : إن السلام مثل الصلاة مخصوص بالأنبياء أيضاً ، فلا يقال في غيرهم : عليه السلام ، كما صرح به الفقهاء ، فهو مكروه تنزيهاً)[1] .

لكن الأرجح ما عليه جمهور الفقهاء ـ عدا المالكية ـ وذلك لقوة الأدلة ، ولاعتبار أن الصلاة والسلام من جملة تعظيم النبي ﷺ وتكريمه ، لأن تعظيم آل بيته حقيقة هو تعظيم له صلوات الله عليه .

وقد علّمنا النبي ﷺ ذلك في سنته المطهرة ، مثال ذلك في أهل الكساء :

« اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك علىٰ آل محمد » .

وفي رواية أخرى : « اللهم إنهم مني وأنا منهم ، فاجعل صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليَّ وعليهم »[2] .

---

(١) نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض : ٣/ ٥٦٢

(٢) سنأتي على شرح ذلك وتفصيله في الفصول القادمة إن شاء الله تعالىٰ .

وأورد ابن حجر قول النبي ﷺ : « لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء ، قالوا : وما الصلاة البتراء يا رسول الله؟ قال : تقولوا : اللهم صل علىٰ محمد ، وتمسكون ، بل قولوا : اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد »[1] .

وروىٰ أبو هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « من سرّه أن يكتال بالمكيال الأوفىٰ إذا صلىٰ علينا أهل البيت فليقل : اللهم صل علىٰ محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته ، كما صليت علىٰ إبراهيم إنك حميد مجيد »[2] .

وأقبل رجل حتىٰ جلس بين يدي رسول الله ﷺ ، ونحن عنده ـ كما يروي ابن مسعود ـ فقال : يا رسول الله ، أما السلام عليك فقد عرفناه ، فكيف نصلي عليك ، إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا صلّىٰ الله عليك؟

قال : فصمت رسول الله حتىٰ أحبَبْنا أن الرجل لم يسأله ، فقال : « إذا أنتم صليتم عليّ فقولوا : اللهم صلِّ علىٰ محمد النبي الأمي وعلىٰ آل محمد »[3] .

(وهذا كله ، جعل الإمام الشافعي رحمه الله يذهب إلىٰ فرضية الصلاة علىٰ النبي عقب التشهد الأخير ، وقيل سلام التحلل ، وهو أحد قولي الإمام أحمد ، وظاهر ما في المغني من كتبهم أنه الذي رجع إليه الإمام أحمد أخيراً ، وإحدى الروايتين من إسحاق بن راهويه ،

---

(١) الصواعق المحرقة : ٨٩ .

(٢) سنن أبي داود : ١/ ٢٢٥ ، إتحاف السادة المتقين للزبيدي : ٣/ ٢٩٠ .

(٣) مسند أحمد : ٥/ ٣٥٣ ، سنن الترمذي : ٢/ ٢١٢ ، سنن الدارقطني : ١/ ٣٥٤ .

والخلاف أيضاً في كتب المالكية ، والصحيح عندهم أنها من سنن الصلاة ، وهو مذهب الحنفية)[1] .

قال الإمام النووي رحمه الله : وهل تجب الصلاة علىٰ الآل ـ يعني التشهد الأخير ـ؟ فيه قولان : وقيل وجهان : الصحيح المشهور أنها سنّة ، والثاني أنها واجبة[2] .

وقال رسول الله ﷺ : « من صلّىٰ صلاةً لم يصلّ فيها عليّ ولا علىٰ أهل بيتي لم تقبل منه »[3] .

ويرحم الله الشافعي حينما صرّح بذلك :

يـا أهـل بيـت رسـول الله حُبّكـم فرض من الله في القرآن أنزله
كفـاكـم مـن عظيـم القـدر أنكـم مَنْ لم يصل عليكم لا صلاة له[4]

وروي عن سيدنا علي كرم الله وجهه مرفوعاً : « من صلىٰ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد مئة مرة قضىٰ الله له مئة حاجة »[5] .

وأما السلام علىٰ آل البيت فمأخوذ من كتب بعض المفسرين كالإمام البغوي في ذيل قول الله تعالىٰ : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾ [الصافات : ١٣٠] . أنهم آل محمد ﷺ .

قال الإمام الرازي في التفسير :

جعل الله أهل بيت النبي ﷺ مساوين له في خمسة أشياء :

---

(١) جواهر العقدين للسمهودي : ٢٢٠ .
(٢) روضة الطالبين : ١/ ٦٣ .
(٣) سنن الدارقطني : ١/ ٣٥٥ .
(٤) ديوان الإمام الشافعي : ١٥٠ .
(٥) الجامع الكبير للإمام السيوطي : ١/ ٧٩٦ .

إحداها ـ في السلام : قال : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، وقال لأهل بيته : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾ [الصافات : ١٣٠] .

والثانية ـ في الصلاة علىٰ النبي ﷺ ، وعلىٰ الآل كما في التشهد .

والثالثة ـ في الطهارة ، قال الله تعالىٰ : ﴿ طه مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه : ١ـ٢] . أي طاهر . وقال لأهل بيته : ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

والرابعة ـ تحريم الصدقة ، قال ﷺ : « لا تحل الصدقة لمحمد ولآل محمد »[1] .

الخامسة ـ المحبة : قال الله تعالىٰ : ﴿ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

وقال لأهل بيته : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورىٰ : ٢٣] .

نسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأن يجعل في قلوبنا الحب كله للنبي صلوات الله عليه ، ولجميع صحابته الكرام ، ولجميع آل بيته ، ولجميع المؤمنين إلىٰ يوم الدين إنه علىٰ مايشاء قدير .

* * *

تلكم طائفة من بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بآل بيت النبي صلوات الله عليه ، لكن كما يرىٰ الأخ القارىء ، أننا عمدنا إلىٰ الاختصار الشديد ، على الرغم من أن المواضيع التي طرحناها متشعبة جداً ، وفيها خلافات فقهية كثيرة .

---

(١) سبق تخريجه .

ومن أراد التوسع فبوسعه العودة إلىٰ المصادر والمراجع المختصة في المسائل الفقهية والأمور التاريخية ليرىٰ سادتنا العلماء وقد أغنوا هذه المواضيع بحثاً ودراسة ، ولم يبقوا في ذلك إلا ما ندر .

ونحن يكفينا ما أشرنا إليه وعلىٰ الله العون والاتكال ، ومنه التوفيق ، سائلين منه الفتح والمدد في إكمال القسم الكبير من هذه الدراسة ، ولا سيما ما يتعلق بالآيات القرآنية وتفسيراتها ومعانيها التي تتحدث عن آل البيت ، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال العلماء في ذلك ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وتسليم وبركات علىٰ حبيبنا محمد وعلىٰ آله الطيبين الطاهرين .

* * *

الباب الثاني

فضائل آل البيت في ميزان الشريعة الإسلامية

تمهيد : لماذا التفاوت في الفضل؟!

الفصل الأول : فضائل آل البيت في القرآن الكريم وتفسيره .

الفصل الثاني : فضائل آل البيت في الأحاديث النبوية .

تمهيد

لماذا التفاوت في الفضل؟!

من سنن الله في الكون تفضيل مخلوقات علىٰ أخرىٰ ، كما في تفضيل الإنسان علىٰ سائر المخلوقات ، قال الله تعالىٰ : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

ومن سنن الله أيضاً التفاضل بين أبناء الجنس الواحد ، فبين بني آدم ترىٰ تفاضلاً ملحوظاً ، وهذا ما قرره القرآن الكريم : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٢١] .

وبين الأنبياء عليهم السلام ترىٰ تفاضلاً ، قال الله تعالىٰ : ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

وبين الأوقات ترى تفاضلاً ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾

[القدر : ١ـ٣] .

وكذلك بين الأمكنة أيضاً ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ

لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران : ٩٦-٩٧] .

لكن الله سبحانه في علاه لم يترك الإنسان لأهوائه وأطماعه وحسده وما إلىٰ هنالك ، إنما وجهه أن يترك ذلك ليفهم أن مسألة التفاضل فيها حكم وعبر لا يفهمها إلا الراسخون في العلم ، قال الله تعالىٰ : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ٥٤] .

ثم جاء النهي القرآني للأمة المسلمة بأن يبتعد أفرادها عن الاعتراض علىٰ مسألة التفاضل ، وأن يتركوا المسألة لحكمة الله سبحانه ، قال الله تعالىٰ : ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء : ٣٢] .

من هذا المبدأ نفهم مسألة تفضيل آل بيت رسول الله ﷺ ومنزلتهم ومكانتهم ، وذلك ضمن ربطهم بعمود آل البيت وهو رسول الله صلوات الله عليه .

ولعل العودة إلىٰ القرآن الكريم وتفسيره ، والحديث الشريف وشروحه ، تبين حقيقة مكانة آل بيت رسول الله صلوات الله عليه ، ورحم الله القائل في ذلك :

نسب ينتهي كمال علاه ... لعليّ المقام زوج البتول

بنت خير الأنام طٰه المرجىٰ ... سيد الرسل النبي الرسول

حبذا الأصل فهو أصل شريف ... قد تسامىٰ عن مشبه ومثيل

لا تقســـه بغيـــره وســـواه فهـو تـاج العـلا وخيـر الأصـول
تعـس المبغضـون فـي كـل حيـن أهـل بيـت النبـي مـن كـل جيـل
فهـــم آل جعفـــر وعلـــيّ ثـــم آل العبـــاس بعـــد عقيـــل
أذهـب الله عنهـم الـرجـس حقـاً جـاء هـذا فـي محكـم التنـزيـل
لا خـلا للـوجـود منهـم وجـود هم أمان من خوف كل مهول

* * *

الفصل الأول

فضائل آل البيت في القرآن وتفسيره

عندما نريد الحديث عن مزايا آل بيت رسول الله ﷺ وفضائلهم ، لا نجد أصدق من كلام الله في ذلك .

لكن المشكلة التي تعترضنا الخلاف الكبير في تفسير هذه المسألة!! فبعضهم غالى كثيراً ، وعَدَّ أن في القرآن ما يزيد على خمسمئة آية تختص بآل البيت!! بينما وقف بعضهم الآخر موقفاً معاكساً في هذه المسألة ، إلىٰ درجة أنهم حاولوا تأويل كثير من الآيات القرآنية الصريحة بآل البيت علىٰ أنها نزلت في بعض الصحابة الكرام!!

وأمام هذه التلاطمات الفكرية ، عدت إلىٰ أسباب النزول للآيات القرآنية وإلىٰ معظم ما قاله علماء التفسير والبيان . ثم اعتمدت أيضاً علىٰ أهم شارح للآيات القرآنية ، وهي السنة النبوية الشريفة ، ليتكامل الموضوع من غالبية جوانبه ، وبعيداً عن الإفراط والتفريط ، فكما تعلّمنا أن من سمات الشريعة الإسلامية مسألة الاعتدال والوسطية .

ولابدّ من الإشارة إلىٰ أني لم أنقل هنا أي قول لا يعتمد علىٰ مصدر موثوق وفي أكثر من مكان ، لأنه ـ وللأسف الشديد ـ قد ترىٰ واحداً من العلماء يريد أن يؤيد فكرته أو ميوله ، فيعمد إلىٰ نقل قول دون أن يبين

مدىٰ ضعفه أو صحته ، ودون أن ينقل أحد آخر قبله هذا القول!!

ومن ثم تناقل الناس هذا القول حتىٰ أصبح كالمتواتر ، وعندما تعود إلىٰ الأصل تراه ضعيفاً أو موضوعاً أو معلولاً ، لكنها أمانة العلم أن يعود الباحث إلىٰ الجذور والأصول ، ولا سيما القرآن الكريم والسنة الشريفة وأقوال الرعيل الأول من هذه الأمة ، ليرىٰ ماذا قالوا في هذه المسألة .

وهذا الانتقاء لبعض الآيات القرآنية لا يعني إطلاقاً تجاهل الآيات القرآنية الأخرىٰ التي تشير إلىٰ بعض فضائل آل البيت ، إنما هي من باب الترجيح لقوة الأدلة ، أو من باب وجود ضعف في تفسير تلك الآيات ، أو لوجود خلاف حاد بين العلماء في نسبة تلك الآيات إلىٰ فضائل آل البيت .

وتبقىٰ المسألة قابلة للنقاش الهادىء والموضوعية العلمية ، وتبقىٰ المسألة خاضعة لنسيان الإنسان وعدم عصمته ، فلا معصوم بعد المعصوم ﷺ ، والشفيع في ذلك قوله تعالىٰ : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

فإلىٰ كتاب الله تعالىٰ ، فقد ذكر عن سيدنا عليّ كرم الله وجهه أنه قال :

« ذكر رسول الله الفتنة ، فقلنا : يا رسول الله ، وما المخرج منها؟

قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وحكم ما بينكم ، وخبر ما بعدكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبارٍ قصمه الله ،

ومن ابتغىٰ الهدىٰ في غيره أضلّه الله ، وهو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، والهادي إلىٰ الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تلتبس به الألسنة ، ولا تزيغ به الأهواء ، ولا يخلقُ عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يملّه الأتقياء ، وهو الذي لم تلبث الجن لما سمعته أن قالوا : إنا سمعنا قرآناً عجباً .

من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلىٰ صراط مستقيم »[1] .

١ـ في سورة البقرة :

قول الله تعالىٰ : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة : ٢٠٧] . ثمة خلاف بين العلماء في تفسير هذه الآية وتأويلها ، وجلّ ما رجعت إليه من كتب التفسير يقول : إن هذه الآية نزلت في صهيب رضي الله عنه ، وقال آخرون : نزلت في صهيب ، وهي عامة[2] .

أما الفخر الرازي (ت٦٠٤هـ) رحمه الله ، فقد ساق القولين السابقين ، ثم قال :

(والرواية الثالثة : نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، بات علىٰ فراش رسول الله ﷺ ليلة خروجه إلىٰ الغار ، ويروىٰ أنه لما

---

(١) للتوسع في ذلك يراجع : البيان في علوم القرآن ، للمؤلف : ٣/١١٦ـ١٢٧ .

(٢) للتوسع يراجع : تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ١/٤٣٦ ، تفسير البغوي : ١/١٨٠ ، تفسير النسفي : ١/١٦٦ ، الكشاف للزمخشري : ١/٢٥١ ، تفسير ابن عطية : ٢/١٩٦ ، تفسير الطبري : ٢/٣٢١ ، مسند الإمام أحمد : ١/٣٤٥ ، مستدرك الحاكم : ٣/٤ ، تاريخ بغداد : ١٣/١٩١ ، تاريخ اليعقوبي : ٢/٢٩ ، أسد الغابة : ٤/١٩ .

نام علىٰ فراشه قام جبريل عليه السلام عند رأسه ، وميكائيل عند رجليه ، وجبريل ينادي : بخ بخٍ من مثلك يا بن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة ، ونزلت الآية)[1] .

وينقل الشيخ سليمان القندوزي الحنفي (ت١٢٩٤هـ) رحمه الله روايات كثيرة في ذلك ، منها ما رواه علي بن الحسين رضي الله عنهما قال : إن أوّل من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وقال علي عند مبيته علىٰ فراش رسول الله ﷺ شعراً :

وقيت بنفسي خير من وطىء الثرىٰ ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

رسول إله خاف أن يمكروا به ... فنجّاه ذو الطول الإلٰه من المكر

وبات رسول الله في الغار آمناً ... موقّىٰ وفي حفظ الإلٰه وفي الستر

وبتّ أراعيهم وما يثبتونني ... وقد وطنت نفسي علىٰ القتل والأسر

ومثل ذلك في تفسير الثعلبي ، وفي إحياء علوم الدين للغزالي ، وشواهد التنزيل للحسكاني . .[2] .

ثم بعد عدة آيات ، يقول الله تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٤] .

وفي أسباب نزول هذه الآية يقول الإمام أبو الحسن علي الواحدي (ت٤١٢هـ) رحمه الله :

---

(١) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب : ٣/ ٢٢٢ .

(٢) ينابيع المودة لذوي القربىٰ : ١/ ٢٧٣ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ . قال : نزلت في علي بن أبي طالب ، كان عنده أربعة دراهم فأنفق بالليل واحداً ، وبالنهار واحداً ، وفي السر واحداً ، وفي العلانية واحداً .

وقال الكلبي : نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لم يكن يملك غير أربعة دراهم ، فتصدق بدرهم ليلاً ، وبدرهم نهاراً ، وبدرهم سراً ، وبدرهم علانية ، فقال له رسول الله ﷺ : « ما حملك علىٰ هذا؟ » قال : حملني أن أستوجب علىٰ الله الذي وعدني ، فقال له رسول الله ﷺ : « ألا إن ذلك لك » فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[1] .

وقال فريق آخر من العلماء : بل إن الآية عامة في مسألة الإنفاق في سبيل الله[2] .

٢ـ في سورة آل عمران :

قول الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٩ـ٦١] .

---

(١) أسباب نزول القرآن : ٨٥ـ٨٦ .

(٢) للتوسع في ذلك يراجع : الدر المنثور للسيوطي : ١/ ٣٦٣ ، وتفسير البغوي : ١/ ٢٦٠ ، تفسير النسفي : ١/ ٢١٠ ، تفسير ابن كثير : ١/ ٥٧٤ ، تفسير الكشاف : ١/ ٣١٨ ، تفسير القرطبي : ٣/ ٣٤٧ ، مجمع الزوائد للهيثمي : ٦/ ٣٢٤ ، أسباب النزول للسيوطي : ٧١ ، المعجم الكبير للطبراني : ١١/ ٨٠ .

وفي أسباب نزول هذه الآيات يقول الإمام الواحدي رحمه الله تعالىٰ :

(إن وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ : ما لك تشتم صاحبنا؟ قال : وما أقول؟ قالوا : تقول : إنه عبد ، قال : أجل إنه عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلىٰ العذراء البتول ، فغضبوا وقالوا : هل رأيت إنساناً قط من غير أب؟ فإن كنت صادقاً فأرنا مثله ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية .

وعن الحسن قال : جاء راهبا نجران إلىٰ النبي ﷺ ، فقال لهما رسول الله ﷺ : أسلما تسلما ، فقالا : قد أسلمنا قبلك ، فقال : كذبتما ، يمنعكما من الإسلام ثلاث : سجودكما للصليب ، وقولكما : اتخذ الله ولداً ، وشربكما الخمر . فقالا : ما تقول في عيسىٰ؟ قال : فسكت النبي ﷺ ، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآيات ، فدعاهما إلىٰ الملاعنة ، فواعداه علىٰ أن يغادياه بالغداة ، فغدا رسول الله ﷺ فأخذ بيد عليّ وفاطمة ، وبيد الحسن والحسين ، ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيبا ، فأقر له بالخراج ، فقال النبي ﷺ : « والذي بعثني بالحق لو فعلا لَمُطر الوادي ناراً »[1] .

وفي تفسير هذه الآيات يقول الدكتور وهبة الزحيلي ـ حفظه الله ـ :

إن صفة عيسىٰ في قدرة الله حيث خلقه من غير أب كمثل آدم ـ عليهما السلام ـ حيث خلقه من غير أب ولا أم ، بل خلقه من تراب ، وقدره جسداً من طين ، ثم قال له : كن فيكون ، أي أنشأه بشراً بنفخ الروح فيه ، شبّه الغريب بالأعزب منه ، والتشبيه واقع علىٰ أن عيسىٰ

(١) أسباب نزول القرآن : ٩٨ ـ ٩٩ .

خلق من غير أب كآدم ، لا علىٰ أنه خلق من تراب ، والشيء قد يتشبَّه بالشيء لاتفاقهما في وصف واحد ، وإن اختلفا في أمور أخرىٰ ، فالذي خلق آدم من غير أب قادر علىٰ أن يخلق عيسىٰ بطريقة الأولىٰ والأخرىٰ .

وإن جاز ادّعاء النُّبوة في عيسىٰ ، لكونه مخلوقاً من غير أب ، فجواز ادعائها في آدم بالطريق الأولىٰ ، ومعلوم الاتفاق أن ذلك باطل ، فدعوىٰ البنوّة في عيسىٰ أشد بطلاناً .

ولكن الله تعالىٰ أراد أن يظهر قدرته للناس حين خلق آدم من غير ذكر ولا أنثىٰ ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثىٰ ، وخلق عيسىٰ من أنثىٰ بلا ذكر ، وخلق بقية البشر من ذكر وأنثىٰ ، ولهذا قال تعالىٰ في سورة مريم : ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [مريم : ٢١] .

وقال هنا : ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ [آل عمران : ٦٠] .

هذا الذي أخبرتك به من شأن عيسىٰ ومريم هو القول الحق ، لا ما اعتقده النصارىٰ في المسيح من أنه إلٰه ، ولا ما زعمه اليهود من رمي مريم بيوسف النجار ، وهذا النهي يثير في النبي وأمته ضرورة الاعتصام باليقين واطمئنان النفس إلىٰ الخبر الإلهي ، أي واظب علىٰ يقينك وطمأنينة نفسك إلىٰ الحق والبعد عن الشك فيه ، أو أن الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته ، لأنه ﷺ لم يكن شاكاً في أمر عيسىٰ عليه السلام .

فمن جادلك في شأن عيسىٰ عليه السلام بعد معرفة الحق واليقين فادعهم إلىٰ المباهلة أي الملاعنة ، بأن نتباهل وندعو الله أن يلعن الكاذب ويطرده من رحمته .

وهذه الآية تسمىٰ آية المباهلة .

وقد ثبت أن النبي ﷺ دعا نصارىٰ نجران للمباهلة ، فأبوا ، جاء في سيرة ابن إسحاق : أنه قدم سنة تسع علىٰ رسول الله ﷺ وفد نصارىٰ نجران ستون راكباً ، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم يؤول أمرهم إليهم ، منهم (العاقب) واسمه عبد المسيح ، وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم ، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه ، ومنهم السيد وهو الأيهم ، وكان عالمهم ، ومنهم أبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل ، وكان أسقفهم ، فدخلوا بعد العصر مسجد رسول الله ﷺ ، فصلوا صلاتهم إلىٰ المشرق ، ثم كلّموا رسول الله ﷺ وقالوا عن عيسىٰ : هو الله ، هو ولد الله ، هو ثالث ثلاثة ، فنزل القرآن للرد عليهم .

وأخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه : أنه جاء العاقب والسيد صاحب نجران إلىٰ رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه ، فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل ، فوالله لئن كان نبيّاً ، فلاعناه ، لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا ، فقال : إنا نعطيك ما سألتنا ، وابعث معنا رجلاً أميناً ، ولا تبعث معنا إلا أميناً ، فقال : لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين ، قم يا أبا عبيدة بن الجراح .

فلما قام قال رسول الله ﷺ : « هذا أمين هذه الأمة » .

وروي أن النبي ﷺ اختار للمباهلة علياً وفاطمة وولديهما : الحسن والحسين ، وخرج بهم وقال : « إن أنا دعوت ، فأمّنوا أنتم » .

وبعد أن رفضوا المباهلة صالحوا النبي ﷺ علىٰ الجزية : وهي دفع ألف حلّة في صفر ، وألف في رجب ودراهم .

وهذا يدلّ علىٰ قوة اليقين والثقة بما يقول ، وعلىٰ امتناعهم عن

المباهلة فيه تقرير للخطر وكونهم علىٰ غير بينة فيما يعلنون ، فما أمكنهم الإقدام علىٰ المباهلة .

إن هذا الذي قصصته عليك في شأن عيسىٰ هو القصص الحق الذي لا مرية فيه ولا جدال ، لا ما يدّعيه النصارىٰ من كونه إلهاً أو ابن الله ، ولا ما يدّعيه اليهود من كونه ابن زنى ، وسميت قصصاً ، لأن المعاني تتابع فيها .

وليس هناك إله إلا الله العزيز الذي لا يغلبه أحد ، الحكيم : ذو الحكمة الذي يضع كل شيء في موضعه الصحيح المناسب له .

فإن أعرضوا بعد هذا عن اتباعك وتصديقك ، ولم يعلنوا وحدانية الله ، ولم يجيبوا إلىٰ المباهلة ، فإن الله عليم (واسع العلم) بحال المفسدين ، وسيجازيهم علىٰ أعمالهم شرّ الجزاء ، وكل من عدل عن الحق إلىٰ الباطل فهو المفسد ، والله قادر عليه لا يفوته شيء[1] .

وإتماماً للفائدة فيما يتعلق بآية المباهلة ، أنقل ما لخصّه المحدث الشهير أحمد بن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ) رحمه الله :

(قال في الكشاف : لا دليل أقوىٰ من هذا علىٰ فضل أصحاب الكساء ، وهم : علي وفاطمة والحسنان ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ لأنها لما نزلت دعاهم ﷺ فاحتضن الحسين وأخذ بيد الحسن ومشت فاطمة خلفه ، وعليّ خلفهما فعلم أنهم المراد من الآية ، وأن أولاد فاطمة

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : ٣/٢٤٦ـ٢٤٩ . وللتوسع يراجع : الدر المنثور للسيوطي : ٣/٣١٨ ، تفسير الخازن : ١/٢٤٣ ، تفسير الكشاف للزمخشري : ١/٣٦٨ ، في ظلال القرآن : ١/٤٠٥ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٢/٤٦ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٤/٦٦ ، تفسير النسفي : ١/٢٤٢ .

وذريتهم يسمون أبناءه وينسبون إليه نسبة صحيحة نافعة في الدنيا والآخرة .

ويوضح ذلك أحاديث نذكرها مع ما يتعلق بها تتميماً للفائدة فنقول : صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال علىٰ المنبر : « ما بال أقوام يقولون : إن رحم رسول الله ﷺ لا ينفع قومه يوم القيامة بلىٰ والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة وإني أيها الناس فرط لكم علىٰ الحوض » وفي رواية ضعيفة وإن صححها الحاكم أنه ﷺ بلغه أن قائلاً قال لبريدة : إن محمداً لن يغني عنك من الله شيئاً!!

فخطب ثم قال : « ما بال أقوام يزعمون أن رحمي لا ينفع بل حتى ـ جبأ وحكم ـ أي هما قبيلتان من اليمن ، إني لأشفع فأشفع حتىٰ إن من أشفع له فيشفع حتىٰ إن إبليس ليتطاول طمعاً في الشفاعة » .

وأخرج الدارقطني أن علياً يوم الشورىٰ احتج علىٰ أهلها ، فقال لهم : (أنشدكم بالله هل فيكم أحد أقرب إلىٰ رسول الله ﷺ في الرحم مني ومن جعله ﷺ نفسه وأبناءه أبناءه ونساءه نساءه غيري؟ قالوا : اللهم لا) .

وأخرج الطبراني : أن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه ، وإن الله تعالىٰ جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب .

وأخرج أبو الخير الحاكمي وصاحب كنوز المطالب في بني أبي طالب ، أن علياً دخل على النبي ﷺ وعنده العباس بن عبد المطلب ، فقال له العباس : أتحبه؟ قال : « يا عم والله لله أشد حباً له مني ، إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه ، وجعل ذريتي في صلب هذا » .

وأخرجه أبو يعلىٰ والطبراني أنه ﷺ قال : « كل بني أم ينتمون إلىٰ عصبة إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم » .

وتقبيله وضمّه لها علىٰ جهة الإكرام لأنها لصغرها لم تبلغ حداً تشتهىٰ حتىٰ يحرم ذلك ، ولولا صغرها لما بعث بها أبوها ذلك .

ثم حديث عمر رضي الله عنه هذا جاء عن جماعة آخرين من الصحابة كالمنذر وابن عباس وابن الزبير وابن عمر ، قال الذهبي : وإسناده صحيح[1] .

٣ـ في سورة الرعد :

قول الله تعالىٰ : ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ﴾ [الرعد : ٢٣] .

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالىٰ :

يقول الله تعالىٰ : جنات عدن يدخلها هؤلاء الذين وصف صفتهم .

وعلّق الإمام المقريزي (ت٨٤٥هـ) رحمه الله تعالىٰ علىٰ ذلك بقوله : وهم الذين يوفون بعهد الله ، ويصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويخشون ربهم ، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ، وأقاموا الصلاة ، وفعلوا الأفعال التي ذكرها الله تعالىٰ في هذه الآيات الثلاث ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وهم نساؤهم وأهلوهم ، وذرياتهم ، وصلاحهم : إيمانهم بالله تعالىٰ ، واتباعهم أمره ، وأمر رسوله ﷺ .

ثم ذكر ـ الطبري ـ عن مجاهد ﴿ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ ﴾ من آمن في الدنيا .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي : ﴿ وَمَن صَلَحَ ﴾ موضع ﴿ مِنْ ﴾ رفع عطف علىٰ الواو في ﴿ يَدْخُلُونَهَا ﴾ .

---

(١) الصواعق المحرقة في الرد علىٰ أهل البدع والزندقة : ١٥٥ـ١٥٧ .

وقال أبو إسحاق : وجائز أن يكون نصباً كما تقول : (دخلوا وزيداً) أي مع زيد .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ يريد : من صدّق بما صدقوا به ، وإن لم يعمل مثل أعمالهم .

وقال أبو إسحاق : اعلم أن الأنساب لا تنفع بغير أعمال صالحة ، فعلىٰ قول ابن عباس معنىٰ صلح : صدق ، وآمن ، ووحد ، وعلىٰ ما ذكره أبو إسحاق معناه : صلح في عمله .

والصحيح ما قال ابن عباس رضي الله عنهما ، لأن الله تعالىٰ جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله حيث بشره بدخول الجنة مع هؤلاء ، فدل علىٰ أنهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل ، ولا فائدة للتبشير والوعد إلا بهذا ، إذ كل مصلح في عمله قد وُعِدَ دخول الجنة .

وقال القرطبي : ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ يجوز أن يكون معطوفاً علىٰ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ والمعنىٰ : أولئك ومن صلح من آبائهم وأزواجهم ، وذرياتهم لهم عقبىٰ الدار ، ويجوز أن يكون معطوفاً علىٰ الضمير المرفوع في : ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ وحسن العطف لما حال الضمير المنصوب بينهما ، ويجوز أن يكون المعنىٰ : يدخلونها فيدخل من صلح من آبائهم من كان صالحاً ، لا يدخلونها بالأنساب ، ويجوز أن يكون موضع ﴿مَنْ﴾ نصباً علىٰ تقدير : يدخلونها مع من صلح من آبائهم : أي وإن لم يعملوا مثل أعمالهم يلحقهم الله تعالىٰ بهم كرامة لهم .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : هذا الصلاح : الإيمان بالله والرسول ، ولو كان لهم مع الإيمان طاعات أخرىٰ لدخلوها بطاعتهم لا علىٰ وجه التبعية .

قال القشيري : وفي هذا نظر لأنه لابد من الإيمان ، فالقول في

اشتراط العمل الصالح كالقول في اشتراط الإيمان ، فالأظهر أن هذا الصلاح في جملة الأعمال ، والمعنىٰ أن النعمة غداً تتم عليهم بأن جعلهم مجتمعين مع قراباتهم في الجنة ، وإن كان لا يدخلها كل إنسان بعمل نفسه ، بل برحمة الله تعالىٰ .

قال جامعه ـ المقريزي ـ : فإذا جاز أن يكرم الله تعالىٰ عباده المؤمنين بالذين عملوا بطاعته ، ونهوا أنفسهم عن الفتنة بأن يدخل معهم الجنة من أهاليهم ، وذوي قراباتهم من كان مؤمناً قد قصر في عبادة ربه ، وخالف بعض ما نهىٰ عنه بطريق التبعية لهم لا أنهم قد استحقوا تلك المنازل بما أسلفوا من الطاعات في أيام الحياة الدنيا ، فرسول الله ﷺ سيد المرسلين وإمام المتقين لوليٌّ بهذه الكرامة أن يدخل تعالىٰ عصاة ذريته الجنة تبعاً له ، ويرضي عنهم أخصامهم[1] .

٤ـ في سورة الحجر :

قول الله تعالىٰ : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر : ٤٧] .

وفي أسباب نزول هذه الآية قال الإمام السيوطي (ت٩١١هـ) رحمه الله تعالىٰ :

أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين رضي الله عنهما : أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم جميعاً :

---

(١) فضل آل البيت للمقريزي : ٦٤ـ٦٧ ، وللتوسع يراجع :
الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٩/ ٣١٢ ، تفسير ابن كثير : ٤/ ٨٥ ، تفسير البغوي : ٣/ ٣٢ ، تفسير الطبري : ٣/ ١٤١ ، تفسير النسفي : ٢/ ٣٥٦ ، الكشاف للزمخشري : ٢/ ٥٢٤ .

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ قيل : وأيّ غلّ؟ قال : غِلُّ الجاهلية ، إن بني تيم ، وبني عدي ، وبني هاشم ، كان بينهم في الجاهلية عداوة ، فلما أسلم هؤلاء القوم تحابوا ، فأخذت أبا بكر الخاصرة فجعل علي يسخن يده فيكمد بها خاصرة أبي بكر ، فنزلت هذه الآية[1] .

وهكذا يحدثنا علماء التفسير كلاماً رائعاً في بيان وشرح هذه الآيات ، لكن المحور الرئيسي ما قاله الإمام علي كرم الله وجهه ، مثال ذلك ما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله .

. . . وقوله تعالىٰ : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر : ٤٧] .

روىٰ القاسم عن أبي أمامة قال : يدخل أهل الجنة الجنة علىٰ ما في صدورهم في الدنيا من الشحناء والضغائن ، حتى إذا توافوا وتقابلوا ، نزع الله ما في صدورهم في الدنيا من غلّ ، ثم قرأ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ هكذا في هذه الرواية ، والقاسم بن عبد الرحمن في روايته عن أبي أمامة ضعيف .

وقد روىٰ سعيد في تفسيره : حدثنا ابن فضالة عن لقمان عن أبي أمامة قال : لا يدخل الجنة مؤمن حتىٰ ينزع الله ما في صدره من غل حتىٰ ينزع منه مثل السبع الضاري .

وهذا موافق لما في الصحيح من رواية قتادة : حدثنا أبو المتوكل الناجي أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال : « يخلص المؤمنون من النار ، فيحبسون علىٰ قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتىٰ إذا هذبوا ونقوا ، أذن لهم في دخول الجنة » .

---

(١) أسباب النزول للإمام السيوطي : ٢١٨ .

وقال ابن جرير : حدثنا الحسن ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا هشام عن محمد هو ابن سيرين قال : استأذن الأشتر علىٰ علي رضي الله عنه ، وعنده ابن لطلحة فحبسه ثم أذن له ، فلما دخل قال : إني لا أراك إنما حبستني لهذا ، قال : أجل ، قال : إني لأراه لو كان عندك ابن لعثمان لحبستني ، قال : أجل إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالىٰ : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر : ٤٧] . وقال ابن جرير أيضاً : حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا أبو معاوية الضرير ، حدثنا أبو مالك الأشجعي ، حدثنا أبو حبيبة مولىٰ لطلحة قال : دخل عمران بن طلحة علىٰ علي رضي الله عنه بعد ما فرغ من أصحاب الجمل ، فرحب به وقال : إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ .

وحدثنا الحسن ، حدثنا أبو معاوية الضرير ، حدثنا أبو مالك الأشجعي ، عن أبي حبيبة مولىٰ لطلحة قال : دخل عمران بن طلحة علىٰ علي رضي الله عنه بعد ما فرغ من أصحاب الجمل فرحب به وقال : إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ . قال : ورجلان جالسان إلىٰ ناحية البساط ، فقالا : الله أعدل من ذلك تقتلهم بالأمس وتكونون إخواناً!!

فقال علي رضي الله عنه ، قوما أبعد أرض وأسحقها ، فمن هم إذاً إن لم أكن أنا وطلحة؟

وروىٰ وكيع عن أبان بن عبد الله البجلي عن نعيم بن أبي هند ، عن ربعي بن خراش عن علي نحوه ، وقال فيه : فقام رجل من همدان

فقال : الله أعدل من ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : فصاح به علي صيحة فظننت أن القصر تدهده لها ، ثم قال : إذا لم نكن نحن فمن هم؟

وقال سعيد بن مسروق عن أبي طلحة ، وذكره فيه ، فقال الحارث الأعور ذلك ، فقام إليه علي رضي الله عنه فضربه بشيء كان في يده في رأسه ، وقال : فمن هم يا أعور إذا لم نكن نحن؟ وقال سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال : جاء ابن جرموز قاتل الزبير يستأذن علىٰ علي رضي الله عنه فحجبه طويلاً ثم أذن له فقال له : أما أهل البلاء فتجفوهم ، فقال علي : بفيك التراب إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ . وكذا روىٰ الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بنحوه .

وقال سفيان بن عيينة عن إسرائيل عن أبي موسىٰ سمع الحسن البصري يقول :

قال علي : فينا والله أهل بدر نزلت هذه الآية : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ .

وقال كثير النواء : دخلت علىٰ أبي جعفر محمد بن علي فقلت : وليي وليكم ، وسلمي سلمكم ، وعدوي عدوكم ، وحربي حربكم ، أنا أسألك بالله أتبرأ من أبي بكر وعمر؟ فقال : ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام : ٥٦] .

تولهما يا كثير فما أدركك فهو في رقبتي هذه ، ثم تلا هذه الآية : ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ . قال : أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم أجمعين .

وقال الثوري عن رجل عن أبي صالح في قوله : ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ . قال : هم عشرة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة ، والزبير وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين[1] .

إذاً :

هذه الآية نزلت في الإمام علي رضي الله عنه حسب رواية السيوطي ، أو في العشرة المبشرين بالجنة ومن بينهم علي ، ويبدو - والله أعلم - أنها تشمل آل البيت والصحابة الكرام وكل مؤمن لا يحمل في قلبه حقداً أو غلاً أو ما إلىٰ هنالك .

٥ـ في سورة الكهف :

إشارة واضحة إلىٰ العلاقة الحميمة بين الأجداد والآباء والأبناء والأحفاد وتأثير ذلك كله في الآخرين ، قال الله تعالىٰ : ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف : ٨٢] .

وفي التعليق علىٰ هذه الآية يقول الإمام نور الدين علي السمهودي (ت٩١١هـ) رحمه الله تعالىٰ :

(رُوي أنه كان بينهما وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء ، فكيف

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤/ ١٦٣ـ١٦٥ ، وللتوسع يراجع :
الكشاف للزمخشري : ٢/ ٥٧٨ ، تفسير البغوي : ٣/ ٥٢ ، تفسير النسفي : ٢/ ٤١٤ ، ينابيع المودة : ١/ ٣٥٤ ، مسند الإمام أحمد : ٢/ ٥٩٧ .

لا يحفظ ذرية النبي ﷺ وأهل بيته فيه ، وإن كثرت الوسائط بينهم وبينه؟!

ولهذا قال جعفر الصادق رضي الله عنه فيما أخرجه الحافظ عبد العزيز بن الأخضر في (معالم العترة النبوية) : احفظوا فينا ما حفظ العبد الصالح في اليتيمين . وكان أبوهما صالحاً[1] .

وقال الحافظ جمال الدين الزرندي : يروىٰ أن علي بن الحسين رضي الله عنه قال : أيها الناس إن كل صمت ليس فيه فكر فهو غي ، وكل كلام ليس فيه ذكر الله فهو هباء ، ألا إن الله عز وجل ذكر أقواماً بآبائهم ، فحفظ الأبناء للآباء ، قال تعالىٰ : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ ولقد حدثني أبي عن آبائه أنه كان التاسع من ولده ، وتحت عترة رسول الله ﷺ ، فاحفظوا لرسول الله ، قال الراوي : فرأيت الناس يبكون من كل جانب .

قلت : واحذر أن تمني النفس في بغضهم بما يرمي به بعضهم من الابتداع ومجانبة الاتباع ، فهذا لا يخرجهم من دائرة الذرية ولا النسبة النبوية : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [الإسراء : ٨٤] .

وقد نقلنا عن المجد اللغوي في كتابنا أخبار أهل المدينة في آداب الزيارة بعد أن ذكرنا أن منها محبة أهل المدينة النبوية وسكانها ، ومودة مجاوريها وقطانها وتعظيمهم أن المجد قال : [ولا سيما العلماء والصلحاء والأشراف والفقراء وسدنة الحجرة وخدمها ، قال : وهلم جرا إلىٰ عوامها وكبارها وصغارها وزراعها وحرّافها وباديتها وحاضرتها كلاً منهم علىٰ حسب حاله ورتبته وقرابته وقربته ودنوه من قبر

(١) للتوسع يراجع : الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي : ١٠٧ ـ ١٠٨ .

رسول الله ﷺ ، ثم قال : إلىٰ مَنْ لا تبقىٰ له في هذا المحل العظيم ، وجاراً لهذا النبي الكريم ، وأخلق به مزية أن يجل صاحبها ، قال : وهؤلاء ثبت لهم حق الجوار ، وإن عظمت إساءتهم فلا يسلب عنهم اسم الجار ، وقد عمّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم في قوله : « ما زال جبريل يوصيني بالجار »[1] . ولم يخص جاراً دون جار ، قال : وكل ما احتج به محتاج مَنْ رمىٰ عوامهم بالابتداع ، وترك الاتباع ، فإنه إذا ثبت في شخص مثلاً لا يترك إكرامه ، فإنه لا يخرج عن حكم الجار ولو جار ، ولا يزول عنه شرف مساكنة الدار كيف دار ، بل يرجىٰ له أن يختم له بالحسنىٰ ، ويمنح بركة هذا القرب الصوري وقرب المعنىٰ :

فيا ساكني أكناف طيبة كلكم إلىٰ القلب من أجل الحبيب حبيب]

قلت : فتأمله ، فما أعظم موقعه في قلوب المؤمنين! وإذا كان هذا في مطلق الجيران ، فما ذاك بأهل البيت منهم؟)[2] .

أجل ، فإن الله أكرم ذاك الغلام من أجل صلاح أبويه ، فكيف بآل بيت النبي ﷺ وكما هو معلوم فعمود ذاك البيت هو النبي صلوات الله عليه؟!

فكل من أحب رسول الله ﷺ فعليه أن يحب ذريته ، وعليه أن يحترمهم ويكرمهم ولا يوجه الانتقاد والسب والشتم لهم ، ولا يقلل من مكانتهم ، كل ذلك من باب الاحترام والحب للنبي ﷺ ، بل نقول ما قاله المحدث الشهير ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالىٰ :

(ومن علامات محبته ﷺ محبة ذريته وإكرامهم والإغضاض عن

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٤، ٦٠١٥) ومسلم (٢٦٢٤، ٢٦٢٥).

(٢) جواهر العقدين في فضل الشرفين : ٣٥٢ـ٣٥٤ .

انتقادهم ، فما انتقد ذرية محمد ﷺ محبٌّ لمحمد ﷺ قط .

ومن علامات محبته محبة أصحابه ، ومن علامات محبة أصحابه محبة ذريتهم ، وخصوصاً أولاد الصديق والفاروق وعثمان وسائر العشرة ، وذريتهم وسائر أولاد المهاجرين والأنصار ، وأن ينظر إليهم المؤمن اليوم نظره إلىٰ آبائهم بالأمس لو كان معهم ، ويعلم أن نطفهم طاهرة وأن ذريتهم ذرية مباركة ، وأن يغضي المؤمن عن انتقاد أولاد الصحابة كما أغضىٰ عن انتقاد ذرية رسول الله ﷺ وأهل البيت ، لأنهم قوم شرف الله ذريتهم وأخلاقهم فلا تغلب عليهم أفعالهم كما تغلب الأفعال فيمن أقدارهم بحسب أفعالهم)[1] .

بل إننا نذهب إلىٰ أبعد من ذلك بأن نقول : إن الحياة مع ذكر الصالحين حياة من نوع آخر ، كيف لا؟ والسلف الصالح كانوا يقولون : عندما يُذكر الصالحون تتنزل الرحمات!!

أجل ، لقد رفع الله ذكر كلب بسبب مصاحبته للصالحين ، فكيف بمن يعيش حياته محباً لآل بيت رسول الله وصحابته؟!

إن كلب آل الكهف ، الذي صاحبهم ودافع عنهم ، كانت مكافأته لذلك ، أن عدّه الله سبحانه واحداً منهم[2] ، وهذا الكلام ليس من قبيل الاستهلاك ، إنما هو قرار الله سبحانه في كتابه الخالد إلىٰ أبد الدهر ـ وفي القرآن إشارات لا يفهمها إلا العارفون ـ قال الله تعالىٰ : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٢٢] .

---

(١) الصواعق المحرقة : ١٠٧ ـ ١٠٨ .

(٢) للتوسع يراجع : التفسير الكبير للرازي : ١١/١٠٧ .

يقول العلامة تقي الدين المقريزي رحمه الله تعالىٰ :

(. . . فإذا صحّ أن الله سبحانه قد حفظ غلامين لصلاح أبيهما فيكون قد حفظ الأعقاب برعاية الأسلاف ، وإن طالت الأحقاب .

ومن ذلك ما جاء في الأثر أن حمام الحرم من حمامتين عششتا علىٰ فم الغار الذي اختفىٰ فيه رسول الله ﷺ ، فلذلك حُرّم حمام الحرم .

وإذا كان كذلك فمحمد ﷺ أحرىٰ وأولىٰ وأحق وأجدر أن يحفظ الله تعالىٰ ذريته ، فإنه إمام الصلحاء ، وما أصلح الله فساد خلقه إلا به .

ومن جملة حفظ الله تعالىٰ لأولاد فاطمة عليها السلام ألاّ يدخلهم النار يوم القيامة .

وقد خرّج أبو داود الطيالسي ، حدثنا عمرو بن ثابت ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن حمزة بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه قال : خطب رسول الله ﷺ فقال :

« ما بال أقوام يزعمون أن رحمي لا تنفع ، والذي نفسي بيده إن رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة ، وإني فرطكم على الحوض ، أيها الناس ألا وسيجيء قوم يوم القيامة ، فيقول القائل منهم : يا رسول الله أنا فلان بن فلان ، فأقول : أما النسب فقد عرفت ، ولكنكم ارتددتم بعدي ، ورجعتم القهقرىٰ »[1])[2] .

---

(١) منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبو داود : ٢/ ٦٢ ، مسند أحمد : ٣/ ١٨ .

(٢) فضل آل البيت : ٦١ـ٦٢ ، وللتوسع يراجع :
تفسير ابن كثير : ٤/ ٤١٦ ، تفسير البغوي : ٣/ ١٧٧ ، تفسير النسفي : ٣/ ٣٨ ، تفسير الكشاف للزمخشري : ٢/ ٧٤١ ، تفسير الطبري : ١٣/ ١٤٠ ، تفسير القرطبي : ٩/ ٣١١ .

٦ـ في سورة الحج :

حديث عن نماذج من آل بيت النبي ﷺ ، ومن قلب المعركة الأولىٰ التي تم فيها ولأول مرة مجابهة الإيمان للشرك ، وهي معركة بدر ، ينقل البيان الإلهي تلك المزية الرائعة لآل البيت فيقول تعالىٰ : ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾ [الحج : ١٩] .

وفي سبب نزول هذه الآية يقول الإمام السيوطي رحمه الله تعالىٰ :

أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي ذر قال : نزلت هذه الآية : ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ . في حمزة ، وعبيدة بن الحارث وعلي بن أبي طالب وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة .

وأخرج الحاكم عن علي رضي الله عنه قال : فينا نزلت هذه الآية في مبارزتنا يوم بدر : ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الحج : ١٩ـ٢٢] .

وأخرج من وجه آخر عنه قال : نزلت في الذين بارزوا يوم بدر : حمزة وعلي وعبيدة والحارث وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة .

وأخرج ابن جرير الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس : أنها نزلت في أهل الكتاب ، قالوا للمؤمنين : نحن أولىٰ بالله منكم وأقدم كتاباً ، ونبينا قبل نبيكم ،، فقال المؤمنون : نحن أحق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب[1] .

---

(١) أسباب النزول : ٢٥٠ ، أسباب نزول القرآن للواحدي : ٣١٨ .

وروىٰ الإمام البخاري بسنده عن قيس قال : سمعت أبا ذر يقسم قسماً إن هذه الآية : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ [] . نزلت في الذين بارزوا يوم بدر : حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابني ربيعة ، والوليد بن عتبة[1] .

ويحدثنا الإمام ابن سعد عن تلك المبارزة فيقول : (ثم خرج شيبة وعتبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ، فدعوا إلىٰ البراز ، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار بنو عفراء : معاذ ومعوّذ وعوف بن الحارث ، فكره رسول الله ﷺ أن يكون أول قتال لقي فيه المسلمون المشركين من الأنصار وأحبّ أن تكون الشوكة ببني عمه وقومه ، فأمرهم فرجعوا إلىٰ مصافّهم ، وقال لهم خيراً ، ثم نادىٰ المشركون : يا محمد أخرج إلينا الأكفاء من قومنا ، فقال رسول الله ﷺ : « يا بني هاشم! قوموا قاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم إذ جاؤوا بباطلهم ليطفئوا نور الله » .

فقام حمزة بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، فمشوا إليهم ، فقال عتبة : تكلموا نعرفكم ، وكان عليهم البيض ، فقال حمزة : أنا حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ، فقال عتبة : كفء كريم ، وأنا أسد الحلفاء ، من هذان معك ؟

قال : علي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث ، قال : كفئان كريمان ، ثم قال لابنه : قم يا وليد ، فقام إليه علي بن أبي طالب ، فاختلفا ضربتين ، فقتله علي ، ثم قام عتبة وقام إليه حمزة ، فاختلفا

---

(١) صحيح البخاري : ٥/ ٩٥ ، صحيح مسلم : ٤/ ٢٣٢٣ ، مستدرك الحاكم : ٢/ ٣٨٦ ، سنن ابن ماجه : ٢/ ٩٤٦ ، السنن الكبرىٰ للبيهقي : ٣/ ٢٧٦ ، طبقات ابن سعد : ٣/ ١٧ ، تاريخ الطبري : ٢/ ٤٤٥ ، سيرة ابن هشام : ٢/ ٢٦٥ .

ضربتين ، فقتله حمزة ، ثم قام شيبة وقام إليه عبيدة بن الحارث وهو يومئذٍ أسنُّ أصحاب رسول الله ﷺ فضرب شيبة رجل عبيدة بذباب السيف ، يعني طرفه ، فأصاب عضلة ساقه فقطعها .

فكرَّ حمزة وعلي علىٰ شيبة فقتلاه ، وفيهم نزلت : ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾[1] [الحج : ١٩] .

٧ـ في سورة السجدة :

حديث تفصيلي فصل بين الفسق والإيمان ، وبيّن أن لكل منهما مزية ومركزاً ومنصباً ، وبالتالي فالإيمان الذي يرافقه العمل الصالح نتيجته الحتمية هي جنة عرضها السموات والأرض .

وأما الفسق فهو الذي يوصل صاحبه إلىٰ الجحيم الذي لا خروج منه!!

وقد أورد البيان الإلهي مثالين لهذين الصنفين هما : علي بن أبي طالب أحد الرموز الكبيرة في خط الإيمان ، والوليد بن عقبة بن أبي معيط رمز كبير من رموز الفسق والدجل!!

قال الله تعالىٰ : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ

---

(١) الطبقات الكبرىٰ : ٢/ ١٧ ، وللتوسع في ذلك يراجع :

سنن أبي داود : ٣/ ١١٩ ، مستدرك الحاكم : ٣/ ١٨٨ ، مجمع الزوائد : ٦/ ٨٢ ، عيون الأثر : ١/ ٢٥٧ ، دلائل النبوة لأبي نعيم : ٢/ ٦١٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٤/ ٦٢٤ ، الدر المنثور للسيوطي : ٤/ ٣٤٨ ، تفسير الطبري : ١٧/ ٩٩ ، تفسير النسفي : ٣/ ١٤٨ ، تفسير البغوي : ٣/ ٢٨٠ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٧/ ٨٦ ، الكشاف للزمخشري : ٣/ ١٤٨ ، تفسير الخازن : ٥/ ٧ .

فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة : ١٨-٢٠] .

وفي أسباب نزول هذه الآيات يقول الإمام الواحدي رحمه الله تعالىٰ :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : أنا أحدُّ منك سناناً ، وأبسط منك لساناً ، وأملأ للكتيبة منك ، فقال له علي : اسكت فإنما أنت فاسق ، فنزل : ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨] . قال : يعني بالمؤمن علياً ، وبالفاسق الوليد بن عقبة[1] .

ورحم الله أحد أئمة المالكية عندما قال :

أحبّ النبي المصطفىٰ وابن عمه ... علياً وسبطيه وفاطمة الزهرا
همُ أهل بيتٍ أُذهب الرجس عنهمُ ... وأطلعَهُم أفقُ الهدىٰ أنجماً زُهرا
موالاتهم فرضٌ علىٰ كل مسلمٍ ... وحبُّهم أسنىٰ الذخيرة للأخرىٰ

٨- في سورة الأحزاب :

حديث موجه إلىٰ نساء النبي ﷺ ، أوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ

(١) أسباب نزول القرآن : ٣٦٧ ، ومثله عند السيوطي في أسباب النزول : ٢٩٢ .

صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب : ٢٨ـ٣٤] .

وضمن هذا الحديث تأتي آية فيها ذكر أهل البيت ، ليكون من جراء ذلك خلاف كبير بين العلماء : هل المقصود فيهم زوجات النبي؟ هل هم آل البيت دون زوجات النبي ﷺ ، وما هو السر في وضع هذه المداخلة بين جانبي الحديث القرآني عن زوجات رسول الله ؟ فقال تعالىٰ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

لو عدنا إلىٰ أسباب نزول هذه الآيات نجد خلافاً أيضاً في ذلك ، يقول الإمام الواحدي رحمه الله تعالىٰ :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ . قال : نزلت في خمسة : في النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم جميعاً .

وعن عطاء بن أبي رباح قال : حدثني من سمع أم سلمة تذكر أن النبي ﷺ كان في بيتها فأتته فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خريزة[1]

(١) البرمة : القدر ، والخريزة : طعام لهم ، كانوا يأخذون قطع اللحم الصغيرة ويضعونها في القدر مع الماء والملح ، فإذا ما نضجت ذروا عليها الدقيق وعصدوها به ، ثم وضعوا عليها الإدام ، ولا يسمون ذلك خريزة إلا إذا كان فيها لحم ، فإذا =

فدخلت بها عليه فقال لها : « ادعي لي زوجك وابنيك » قالت : فجاء علي والحسن والحسين فدخلوا فجلسوا يأكلون من تلك الخريزة ، وهو علىٰ منامةٍ له ، وكان تحته كساء خيبري .

قالت : وأنا في الحجرة أصلي ، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ قالت : فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ، ثم أخرج يديه فألوىٰ بهما إلىٰ السماء ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي ـ وحاميتي ـ فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً .

قالت : فأدخلت رأسي البيت ، فقلت : وأنا معكم يا رسول الله ، قال : « إنك علىٰ خيرٍ إنك علىٰ خيرٍ » .

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أنزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

وعن عكرمة في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ . . . ﴾ قال : ليس الذي تذهبون إليه ، إنما هي في أزواج النبي ﷺ ، قال : وكان عكرمة ينادي بهذا في السوق[1] .

إذاً :

أمام هذا الاختلاف في تفسير هذه الآية ، فلنعد إلىٰ الأصول للتوثيق والدقة .

الإمام مسلم في صحيحه : (٢/ ٤٥٧) ، والحاكم في مستدركه :

= لم يكن فيها لحم سموها عصيدة : [لسان العرب لابن منظور : ٥/ ٣١٨] .

(١) أسباب نزول القرآن : ٣٧٤ـ٣٧٥ .

(٣/ ١٤٧) ، والترمذي في سننه : (٥/ ٣٢٨) ، والطبراني في معجمه الكبير : (٢٣/ ٣٣٤) ، والحافظ الحسكاني في شواهد التنزيل : (٢/ ١٩) ، والإمام أحمد : (٢/ ٥٧٧) ، والهيثمي في مجمع الزوائد : (٩/ ١٧٢) ، والقاضي عياض في الشفاء : (٢/ ٤٨) ، والإمام نور الدين السمهودي في جواهر العقدين (٢/ ١٤٣) ، وغيرهم : اتفقوا علىٰ أن هذه الآية نزلت في أهل البيت ، وهم أهل الكساء الخمسة .

ولحديث الكساء هذا روايات عديدة تؤكد أن أهل البيت هم الخمسة ، من ذلك ما أخرجه الحاكم في مستدركه عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أنه قال : لما نظر رسول الله ﷺ إلىٰ الرحمة هابطة قال : « ادعوا لي ، ادعوا لي » فقالت صفية : من يا رسول الله؟ قال : « أهل بيتي علياً وفاطمة والحسن والحسين » . فجيء بهم ، فألقىٰ عليهم النبي ﷺ كساءه ثم رفع يديه ثم قال :

« اللهم هؤلاء آلي فصلّ علىٰ محمد وآل محمد » وأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ . . . ﴾ الآية[1] .

وروىٰ مسلم والحاكم والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مِرْط مُرحّل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ، ثم قرأ آية الأحزاب[2] .

---

(١) مستدرك الحاكم علىٰ الصحيحين : ٣/ ١٤٧ .

(٢) صحيح مسلم : ٧/ ١٣٠ ، مستدرك الحاكم : ٣/ ١٤٧ ، السنن الكبرىٰ للبيهقي : ٢/ ١٤٩ ، تفسير الطبري : ٢٢/ ٥ ، تفسير ابن كثير : ٣/ ٤٨٥ ، الدر المنثور : ٥/ ١٩٨ .

وروىٰ مسلم عن زيد بن أرقم عندما سئل : من هم أهل بيته؟ نساؤه؟ قال : لا ، وايم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلىٰ أبيها وقومها ، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده[1] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : شهدت رسول الله ﷺ تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند وقت كل صلاة فيقول : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ » كلّ يوم خمس مرات[2] .

وبالتالي أصبح أمر الكساء من باب إقامة الحجة علىٰ من ينكر فضل أهل البيت!!

وقد روىٰ الحاكم في باب فضائل الحسن بن علي ، والهيثمي في باب فضائل أهل البيت أن الحسن بن علي خطب الناس حين قتل علي وقال في خطبته :

أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي وأنا ابن النبي وأنا ابن الوصيّ وأنا ابن البشير وأنا ابن النذير وأنا ابن الداعي إلىٰ الله بإذنه وأنا ابن السراج المنير وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا وأنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . . .[3] .

---

(١) صحيح مسلم : ٧/ ١٣٣ .
(٢) الدر المنثور : ٥/ ١٩٩ .
(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين : ٣/ ١٧٢ .

وروىٰ النسائي عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال :

أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال : ما يمنعك أن تسبّ أبا تراب؟

فقال : ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله ﷺ فلن أسبّه لئن يكون لي واحدة أحبّ إليّ من حمر النعم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول له وخلّفه في بعض مغازيه ، فقال له علي : يا رسول الله : أتخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال رسول الله : « أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلا أنه لا نبوة بعدي » وسمعته يقول يوم خيبر : « لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » . فتطاولنا إليها ، فقال : « ادعوا علياً » فأُتي به أرمد فبصق في عينيه ، ودفع الراية إليه ، ولما نزلت : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ، فقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي »[1] .

وروىٰ الطبري ، والإمام أحمد ، والحاكم ، والبيهقي ، والطحاوي ، والهيثمي عن أبي عمار قال : إني لجالس عند واثلة بن الأسقع رضي الله عنه إذ ذكروا علياً فشتموه فلمّا قاموا قال : اجلس حتىٰ أخبرك عن هذا الذي شتموه ، إني عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي وفاطمة وحسن وحسين فألقىٰ عليهم كساء له ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً »[2] .

---

(١) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : ٤ .

(٢) تفسير الطبري : ٦/٢٢ ، مسند الإمام أحمد : ١٠٧/٤ ، مشكل الآثار للطحاوي : ٣٤٦/١ ، مجمع الزوائد للهيثمي : ١٦٧/٩ ، مستدرك الحاكم : ٤١٦/٢ ، سنن البيهقي : ١٥٢/٢ ، تفسير ابن كثير : ٤٨٤/٣ .

وروىٰ الإمام أحمد والطبري والطحاوي عن شهر بن حوشب (ت١١٢هـ) قال : سمعت أم سلمة رضي الله عنها حين جاء نعي الحسين بن علي رضي الله عنهما فلعنت أهل العراق ، فقالت : قتلوه قتلهم الله ، غرّوه وذلّوه لعنهم الله ، فإني رأيت رسول الله ﷺ . . . إلىٰ أن قالت ـ فاجتذب كساء خيبرياً ، فلفّه النبي صلوات الله عليه وقال : « اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً »[1] .

وروىٰ أبو المؤيد ، الموفق بن أحمد ، أخطب خوارزم الخوارزمي (ت٥٦٨هـ) :

لما حُمل السجّاد رضي الله عنه مع سائر سبايا أهل البيت إلىٰ الشام بعد مقتل سبط رسول الله ﷺ الحسين رضي الله عنه ، وأوقفوا علىٰ مدرج جامع دمشق في محل عرض السبايا دنا منه شيخ وقال : الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح العباد من رجالكم وأمكن أمير المؤمنين منكم!!

فقال له علي بن الحسين رضي الله عنه : يا شيخ هل قرأت القرآن؟

قال : نعم .

قال : أقرأت هذه الآية : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورىٰ : ٢٣] .

قال الشيخ : قرأتها .

قال : وقرأت قوله تعالىٰ : ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء : ٢٦] .

---

(١) مسند الإمام أحمد : ٦/٢٩٨ ، تفسير الطبري : ٢٢/٦ ، مشكل الآثار : ١/٣٣٥ .

وقوله أيضاً : ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الأنفال : ٤١] .

قال الشيخ : نعم .

فقال : نحن والله القربىٰ في هذه الآيات .

وهل قرأت قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

قال : نعم .

قال : نحن أهل البيت الذي خُصّصنا بآية التطهير .

قال الشيخ : بالله عليك أنتم هم؟

قال : وحق جدّنا رسول الله إنا لنحن هم؟! من غير شك .

فبقي الشيخ ساكتاً نادماً علىٰ ما تكلم به ثم رفع رأسه إلىٰ السماء وقال : اللهم إني أتوب إليك من عدو محمد وآل محمد من الجن والإنس[1] .

وفي هذا الصدد يقول المحدث الشهير أحمد بن حجر الهيتمي رحمه الله تعالىٰ :

(ثم هذه الآية منبع فضائل أهل البيت النبوي لاشتمالها علىٰ غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدأت بـ ﴿إنما﴾ المفيدة لحصر إرادته تعالىٰ في أمرهم علىٰ إذهاب الرجس الذي هو الإثم أو الشك

---

(١) مقتل الخوارزمي ، ط ؛النجف : ٢/ ٦١ ، وروىٰ الطبري وابن كثير والسيوطي في كتب التفسير جزءاً من تلك القصة : [الدر المنثور : ٥/ ١٩٩ ، تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٤٨٦ ، تفسير الطبري : ٢٢/ ٧] .

فيما يجب الإيمان به عنهم وتطهيرهم من سائر الأخلاق والأحوال المذمومة .

وسيأتي في بعض الطرق تحريمهم علىٰ النار وهو فائدة ذلك التطهير وغايته إذ منه إلهام الإنابة إلىٰ الله تعالىٰ ، وإدامة الأعمال الصالحة ، ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكاً ـ ولذا لم تتم للحسن ـ عُوضوا عنها بالخلافة الباطنة ، حتىٰ ذهب قوم إلىٰ أن قطب الأولياء في كل زمن لا يكون إلا منهم ، وممن قال : يكون من غيرهم الأستاذ أبو العباس المرسي كما نقله تلميذه التاج بن عطاء الله .

ومن تطهيرهم تحريم صدقة الفرض ـ بل النفل علىٰ قول لمالك ـ عليهم لأنها أوساخ الناس مع كونها تنبىء عن ذل الآخذ وعز المأخوذ منه ، ومن ثم كان المعتمد دخول أهل بيت النسب في الآية ، ولذا اختصوا بمشاركته ﷺ في تحريم صدقة الفرض والزكاة والنذر والكفارة وغيرهما .

وخالف بعض المتأخرين فبحث أن النذر كالنفل وليس كما قال ، وأشار ﷺ بحرمة النفل وإن كان علىٰ جهة عامة أو غير متقوم علىٰ الأصح ، واختار الماوردي حل صلاته في المساجد وشربه من سقاية زمزم وبئر رومة .

واستدل الشافعي رضي الله عنه لحلّ النفل لهم بقول الباقر رضي الله عنه لما عوتب في شربه من سقايات بين مكة والمدينة : إنما حرم علينا الصدقة المفروضة .

ووجهه أن مثله لا يقال من قبل الرأي لتعلقه بالخصائص فيكون مرسلاً ، لأن الباقر تابعي جليل ، وقد اعتضد مرسله بقول أكثر أهل العلم .

وتحريم ذلك يعم بني هاشم والمطلب ومواليهم وقيل : وأزواجه ، وهو ضعيف وإن حكىٰ ابن عبد البر الإجماع عليه ، ولزوم نفقتهن بعد الموت لا يحرم الأخذ إلا من جهة الفقر والمسكنة بخلافه بجهة أخرىٰ ، كدين أو سفر كما هو مقرر في الفقه ، وفي خبر أنها تحل لبعض بني هاشم من بعض لكنه ضعيف مرسل فلا حجة فيه .

وشربه ﷺ من سقاية زمزم واقعة الحالة تحتمل أن الماء الذي فيها من نزعه ﷺ أو نزع مأذونه فلم يتحقق أنه من صدقة العباس ، وحكمة ختم الآية بتطهير المبالغة في وصولهم لأعلاه وفي رفع التجوز عنه ، ثم تنوينه تنوين التعظيم والتكثير والإعجاب المفيد إلىٰ أنه ليس من جنس ما يتعارف ويؤلف .

ثم أكد ﷺ ذلك كله بتكرير طلب ما في الآية لهم بقوله : « اللهم هؤلاء أهل بيتي . . . » وبإدخاله نفسه معهم في العدّ لتعود عليهم بركة اندراجهم في سلكه .

بل في رواية أنه اندرج معهم جبريل وميكائيل إشارة إلىٰ علي قدرهم ، وأكده أيضاً بطلب الصلاة عليهم بقوله : « فاجعل صلاتك » إلى آخر ما مر ، وأكد أيضاً بقوله : « أنا حرب لمن حاربهم » إلىٰ آخره ، وفي رواية أنه قال بعد ذلك : « ألا من آذىٰ قرابتي فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذىٰ الله تعالىٰ » وفي أخرىٰ : « والذي نفسي بيده لا يؤمن عبدٌ بي حتىٰ يحبني ، ولا يحبني حتىٰ يحب ذويَّ » فأقامهم مُقام نفسه .

ومن ثم صحّ أنه ﷺ قال : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي » وألحقوا به أيضاً في قصة المباهلة في آية :

﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ . . . ﴾[1] [آل عمران : ٦١] . فغدا ﷺ محتضناً الحسن آخذاً بيد الحسين وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهؤلاء هم أهل الكساء ، فهم المراد في آية المباهلة ، كما أنهم من جملة المراد بآية : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ فالمراد بأهل البيت فيها وفي كل ما جاء في فضلهم أو فضل الآل أو ذوي القربىٰ جميع آله ﷺ وهم مؤمنو بني هاشم والمطلب ، وخبر « آلي كل مؤمن تقي » ضعيف بالمرة ، ولو صحّ لتأيد به .

وجمع بعضهم بين الأحاديث بأن الآل في الدعاء لهم في نحو الصلاة يشمل كل مؤمن تقي ، وفي حرمة الصدقة عليهم مختص بمؤمن بني هاشم والمطلب ، وأيد ذلك الشمول بخبر البخاري : « ما شبع آل محمد ﷺ من خبز مأدوم ثلاثاً ، اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً » وفي قول : أن الآل هم الأزواج والذرية فقط)[2] .

ولعل في ذكر المزيد من أقوال العلماء ما يوصلنا إلىٰ وضوح للفكرة .

فالإمام المقريزي رحمه الله تعالىٰ ينقل طائفة كبيرة من أقوال السابقين في مسألة تحديد آل البيت ، من ذلك قوله : (بعد ذكره لبعض الأحاديث التي مرت معنا والتي تحدد آل البيت بأهل الكساء ـ وقال آخرون : بل عنىٰ بذلك أزواج النبي ﷺ ، ثم ذكر من طريق الأصبغ عن علقمة قال : كان عمر رضي الله عنه ينادي في السوق : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ

---

(١) وقد سبق الحديث عنها بشكل تفصيلي قبل عدة صفحات .

(٢) الصواعق المحرقة في الرد علىٰ أهل البدع والزندقة ـ بتصرف واختصار ـ : ١٤٤ـ١٤٧ .

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ قال : نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة[1] .

واختلف الناس في أهل البيت مَنْ هم؟ فقال عكرمة ، ومقاتل ، وابن عباس رضي الله عنهم : هم زوجاته خاصة ، لا يدخل معهن رجل ، وذهبوا إلىٰ أن البيت أريد به مساكن النبي ﷺ[2] .

وقال ابن عطية : والذي يظهر لي أن زوجاته ﷺ لا يخرجن عن ذلك ألبتة ، فأهل البيت : زوجاته ، وبنته ، وبنوها ، وزوجها .

وهذه الآية ـ آية التطهير ـ تقتضي أن الزوجات من أهل البيت ، لأن الآية فيهن ، والمخاطبة لهن .

وقال الإمام الثعلبي (ت٤٢٧هـ) رحمه الله تعالىٰ : قيل هم بنو هاشم ، فهذا علىٰ أن البيت يراد به بيت النسب ، فيكون العباس وأعمامه وبنو أعمامه منهم .

. . . والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت ، من الأزواج وغيرهم ، وإنما قال ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ لأن رسول الله ﷺ ، وعلياً ، وحسناً ، وحسيناً كانوا فيهم ، وإذا اجتمع المذكر ، والمؤنث غلّب المذكر ، فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت ، لأن الآية فيهن ، والمخاطبة لهن ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

لكن العلامة سليمان الطوقي (ت٧١٦هـ) رحمه الله تعالىٰ يرد علىٰ ذلك بقوله : (وإذا ثبت مما ذكرناه من النص والإجماع أن أهل البيت علي وزوجته وولداه ، فما استدللتم به من سياق الآية ، ونظمه علىٰ

---

(١) تفسير الطبري : ٩/٢٢ .
(٢) تفسير الطبري : ٤/٢٢ .

خلافه لا يعارضه لأنه مجمل يحتمل الأمرين ، وقصاراه أنه ظاهر فيما ادعيتم لكن الظاهر لا يعارض النص والإجماع .

ثم إن الكلام العربي يدخله الاستطراد والاعتراض ، وهو تخلل الجملة الأجنبية بين الكلام المنتظم المتناسب كقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ﴾ [النمل : ٣٤ـ٣٥] . فقوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ جملة معترضة من جهة الله تعالىٰ بين كلام بلقيس .

وقوله تعالىٰ : ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ [الواقعة : ٧٥ـ٧٧] . أي فيها أقسم بمواقع النجوم ، إنه لقرآن كريم ، وما بينهما اعتراض علىٰ اعتراض ، وهو كثير في القرآن ، وغيره من كلام العرب ، فلم لا يجوز أن يكون قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ جملة معترضة متخللة لخطاب نساء النبي ﷺ علىٰ هذا النهج .

وأما العارف بالله محيي الدين محمد بن عربي (ت٦٣٨هـ) رحمه الله تعالىٰ ، فيقول :

(كل عبد إلهي توجه لأحد عليه حق من المخلوقين فقد نقص من عبوديته لله تعالىٰ بقدر ذلك الحق فإن ذلك المخلوق يطلبه بحقه وله عين سلطان به .

فلا يكون عبداً محضاً خالصاً لله تعالىٰ ، وهذا هو الرأي الذي رجح عند المنقطعين إلىٰ الله انقطاعهم عن الخلق ، ولزومهم السياحات ، والبراري والسواحل ، والفرار من الناس ، والخروج عن ملك الحيوان ، فإنهم يريدون بذلك الحرية من جميع الألوان .

ولما كان رسول الله ﷺ عبداً محضاً قد طهره الله تعالىٰ وأهل بيته

تطهيراً ، وأذهب عنهم الرجس وهو كل ما يشينهم ، فإن الرجس القذر عند العرب كذا قال الفراء ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ فلا يضاف إليهم إلا مطهر ولابد ، فإن المضاف إليهم هو الذي يشبههم .

فما يضيفون لأنفسهم إلا من له حكم الطهارة والتقديس ، فهذه شهادة من النبي ﷺ لسلمان الفارسي رضي الله عنه بالطهارة والحفظ الإلٰهي والعصمة حيث قال فيه : « سلمان منا أهل البيت » وشهد الله لهم بالتطهير ، وذهاب الرجس عنهم ، وإذا كان لايضاف إليهم إلا مقدس مطهر ، وحصلت له العناية الإلهية بمجرد الإضافة ، فما ظنك بأهل البيت في نفوسهم فهم المطهرون ، بل هم عين الطهارة .

فهذه الآية تدل علىٰ أن الله تبارك وتعالىٰ قد شرك أهل البيت مع رسول الله ﷺ في قوله : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾

[الفتح : ٢] .

وأي وسخ وقذر أقذر من الذنوب وأوضح؟!

فطهر الله تعالىٰ نبيه ﷺ بالمغفرة مما هو ذنب بالنسبة إلينا لو وقع منه ﷺ لكان ذنباً في الصورة لا في المعنىٰ ، لأن الذم لا يلحق به علىٰ ذلك من الله تعالىٰ ولا منا شرعاً ، فلو كان حكمه حكم الذنب لصحبه ما يصحب الذين من المذمة ، ولم يكن يصدق قوله : ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ فدخل الشرفاء أولاد فاطمة ، ومن هو من أهل البيت مثل سلمان الفارسي إلىٰ يوم القيامة في حكم هذه الآية من الغفران ، فهم المطهرون باختصاص من الله تعالىٰ ، وعناية بهم لشرف محمد ﷺ ، وعناية الله سبحانه به .

فينبغي لكل مسلم ، مؤمن بالله وبما أنزله أن يصدق الله تعالىٰ في

قوله : ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ فيعتقد في جميع ما يصدر من أهل البيت رضي الله عنهم أن الله تعالىٰ قد عفا عنهم فيه .

ولا ينبغي لمسلم أن يلحق المذمة ، ولا ما يشنأ أعراض من قد شهد الله تعالىٰ بتطهيرهم وإذهاب الرجس لا بعمل عملوه ، ولا بخير قدموه بل سابق عناية واختصاص إلهي : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١] .

وإذا صحّ الخبر الوارد في سلمان رضي الله عنه ، فله هذه الدرجة ، فإنه لو كان سلمان علىٰ أمر يشنؤه[1] . الله وتلحقه المذمة من الله تعالىٰ بلسان الذنب عليه لكان مضافاً إلىٰ أهل البيت من لم يذهب عنه الرجس ، فيكون لأهل البيت من ذلك بقدر ما أضيف إليهم ، وهم المطهرون بالنص ، فسلمان منهم بلا شك .

وإذا كانت مرتبة مخلوق عند الله بهذه المثابة أن يشرف المضاف إليهم بشرفهم ، وشرَفُهُم ليس لأنفسهم ، وإنما لله تعالىٰ هو الذي اجتباهم وكساهم حلل الشرف ، فكيف بمن له المجد والشرف التام لنفسه ، فهو المجيد سبحانه وتعالىٰ ، فالمضاف إليه من عباده الذين هم عباده ، وهم الذين لا سلطان ولا مُلْك لمخلوق عليهم في الآخرة ، قال تعالىٰ لإبليس : ﴿ إِنَّ عِبَادِى ﴾ [الحجر : ٤٢] . فأضافهم إليه : ﴿ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر : ٤٢] .

وما تجد في القرآن عباداً مضافين إليه سبحانه إلا السعداء خاصة ، وجاء اللفظ في غيرهم بالعباد ، فما ظنك بالمعصومين المحفوظين منه القائمين بحقوق سيدهم .

---

(١) أي : يبغضه .

الواقعين عند مراسمه وحدوده ، فشرفهم أعلىٰ ، وهؤلاء هم أقطاب هذا المقام .

ومن هؤلاء الأقطاب ورث سلمان رضي الله عنه شرف مقام هذا البيت ، فكان رضي الله عنه من أعلم الناس بما لله علىٰ عباده من الحقوق ، وما لأنفسهم والخلق عليهم من الحقوق .

وأقواهم علىٰ أدائها ، وفيه قال رسول الله ﷺ : « لو كان الإيمان بالثريا لناله رجال من فارس » . وأشار إلىٰ سلمان الفارسي ، فسِرُّ سلمان الذي ألحقه بأهل البيت مما أعطاه النبي ﷺ من أداء كتابته فهو عتيقه ﷺ ، ومولىٰ القوم منهم .

وبعد أن تبين لك منزلة أهل البيت عند الله تعالىٰ ، وأنه لا ينبغي لمسلم أن يذمهم بما يقع منهم أصلاً فإن الله تعالىٰ طهرهم ، فليعلم الذام لهم أن ذلك يرجع إليه ، ولو ظلموه فذلك الظلم في زعمه ظلم لا في نفس الأمر وإن حكم عليه ظاهرالشرع بأدائه ، بل حكم ظلمهم إيانا في الأمر يشبه جري المقادير علىٰ العبد في ماله ونفسه بغرق أو بحرق وغير ذلك من الأمور المهلكة ، أو يقع في النار فيحترق أو يموت له أحد أحبابه ، أو يصاب هو في نفسه ، وهذا كله مما لا يوافق غرضه ولايجوز له أن يذم قدر الله ولا قضاءه ، ولكن ينبغي أن يقابل ذلك كله بالرضا والتسليم ، وإن نزل عن هذا المقام فبالصبر ، وإن ارتفع عن تلك المرتبة فبالشكر ، فإن في طي ذلك نعمة من الله تعالىٰ له وليس وراء ما ذكرناه خير ، فإنه ما وراءه إلا الضجر والتسخط ، ولذلك ينبغي أن يقابل المسلم جميع ما يطرأ عليه من أهل البيت رضي الله عنهم في ماله وفي أهله ، وفي عرضه وفي نفسه ، أن يقابله بالرضا والتسليم والصبر ، ولا يلحق بهم المذمة أصلاً ، وإن توجهت

عليهم الأحكام الشرعية من إقامة الحدود المشروعة ، فذلك لايقدح في هذا ، وإنما نمتنع من إلحاق الذم بهم وسبهم إذ قد ميّزهم الله تعالىٰ عنا بما ليس لنا معهم فيه قدم .

وأما أداء الحقوق المشروعة فهذا رسول الله ﷺ يقترض من اليهود ، وإذا طالبوه بحقوقهم أداها علىٰ أحسن ما يمكن ، وقد قال ﷺ : « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » فذلك حق الله تعالىٰ ، ومع هذا لم يذمهم الله تعالىٰ ، وإنما كلامنا في حقوقكم ، وفيما لكم أن تطالبوهم به فلكم ذلك ، وليس لكم ذمهم ولا الكلام في أعراضهم ولا سبهم ، وإن نزلتم عن طلب حقوقكم ، وعفوتم عنهم فيما أصابوه منكم كان لكم بذلك عند الله اليد العظمىٰ والمكانة الزلفىٰ ، فإن النبي ﷺ ما سأل منهم إلا المودة في القربىٰ .

ومن لم يقبل سؤال نبيه ﷺ فما هو قادر عليه فبأي وجه يلقاه غداً أو يرجو شفاعته ، وهو ما أسبق نبيه فيما سأله من المودة في قرابته ، ثم إنه جاء بلفظ المودة وهي الثبوت علىٰ المحبة ، فإن من ثبت علىٰ محبته استصحب المودة في كل حال ، وإذا استصحب المودة في كل حال لم يؤاخذ أهل البيت فيما يطرأ منهم في حقه مما لا يوافق غرضه ، ألا ترىٰ ما قاله المحب وما ذكر المودة التي هي أتم :

وكلُّ ما يفعلُ المحبوبُ محبوبُ

وقال الآخر :

أحــبُّ لحبِّهــا الســودانَ حتــىٰ أحــبُّ لحبِّهــا ســودَ الكــلابِ

وكانت الكلاب السود تناوشه ، وهو يتحبب إليها ، فهذا فعل المحب في حب من لا تسعده محبته عند الله تعالىٰ ولا تورثه القربة

عند الله تعالىٰ ، فهل هذا إلا مِنْ صدق الحب ، وثبوت الود في النفس ، فلو أحببت الله تعالىٰ ورسوله ﷺ أحببت أهل بيت الرسول ﷺ ، ورأيت كل ما يصدر منهم في حقك مما لا يوافق طبعك ولا غرضك أنه جمال محض تتنعم بوقوعه منهم .

وتعلم أن لك عناية عند الله تعالىٰ حيث ذكرك من يحبه وهم أهل بيت رسول الله ﷺ ، ولو ذكروك بذم وسب فتقول : الحمد لله الذي أجراني علىٰ ألسنتهم ، وتزيد الله تعالىٰ شكراً علىٰ هذه النعمة ، فإنهم ذكروك بألسنة طاهرة قد طهرها الله تعالىٰ بطهارة لم يبلغها علمك .

وإذا رأيناك علىٰ ضد هذه الحالة مع أهل بيت رسول الله ﷺ الذي أنت محتاج إليه ، وله عليك المنة حيث هداك به ، فكيف أثق أنا بودك إذ تزعم أنك شديد الحب فيّ والرعاية لجانبي ، وما ذاك علىٰ الحقيقة إلا من نقص إيمانك ، ومن مكر الله تعالىٰ ، واستدراجه بك حيث لا تعلم ، وصورة المكر فيه أن تقول وتعتقد أنك في ذلك ذابٌّ عن دين الله تعالىٰ وشرعه ، وإني ما طلبت إلا ما أباح الله تعالىٰ لي طلبه ، ويندرج الذم في ذلك الطلب المشروع ، والبغض والمقت ، وأنت لا تشعر .

والدواء الشافي من هذا الداء العضال أنك لا ترىٰ لنفسك معهم حقاً ، بل تنزل عن حقك لئلا يندرج فيه ما ذكرت لك ، وما أنت من حكام المسلمين حتىٰ تقيم فيهم حدود الله تعالىٰ ، فلو كشف لك عن منازلهم في الآخرة عند الله تعالىٰ ، لوددت أن تكون مولىٰ من مواليهم ، والله يلهمنا رشد أنفسنا)[1] .

---

(١) الفتوحات المكية ـ بتصرف واختصار ـ : ١/ ١٩٣ـ ١٩٨ .

ورحم الله العارف الكبير صالح الجعفري عندما قال في آل بيت رسول الله ﷺ :

يـا آل أحمـد أنتـم الأمـراء ... والسـادة الأمجـاد والنقبـاء
ويفـوزُ مـادحُكـم وأنتـم سـادةٌ ... ولكم لدىٰ المولىٰ الكريم رجاء
حاشاكمُ أن تحرموا أحبابكم ... مـن فضلكـم ولـديكـم نعمـاء
فبسرّكم يُجلىٰ الفؤاد من الردىٰ ... وبنـوركـم تُجلـىٰ بـه الظلمـاء
حسـنٌ حسيـنٌ سيـدان وفضلهـم ... روحٌ لأربـاب النفـوس شفـاء
بـالله يـا أهـل التقـىٰ مـن نظـرةٍ ... أحيـا بهـا مـا دامـت الأحيـاء
أنتـم أحيبـابـي وفـي رحبـاتكـم ... روحٌ لـروحـي عـاطـرٌ وضّـاء
وأشـمّ منكـم طيـب آل محمـدٍ ... إذ أنتـم منـه لـه أبنـاء
وسـراجكـم طـه المنيـرُ وأنتـمُ ... مـن نـوره والكـونُ والأشيـاء
أسماؤكم بالوحي ليست مثل من ... سمـاهـمُ الأجـداد والآبـاء

عليكم سلام الله يا من قال الله فيكم : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1] [الأحزاب : ٣٣] .

---

(١) وللتوسع في معانيها وتفسيراتها يراجع :
تفسير الطبري : ٢٢/ ٥ ، تفسير القرطبي : ٧/ ١٦٦ ، تفسير الكشاف : ٣/ ٥٣٦ ، تفسير الرازي : ٢٥/ ٢٠٩ ، تفسير البغوي : ٣/ ٥٢٨ ، تفسير النسفي : ٣/ ٤٤٠ ، تفسير ابن كثير : ٥/ ٤٥١ ، التفسير المنير للدكتور الزحيلي : ٢٢/ ١١ .

وبعد عدة آيات من هذه السورة يأتي التوجيه القرآني إلىٰ مسألة الصلاة علىٰ النبي ﷺ ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

وفي أسباب نزول هذه الآية قال العلامة الواحدي رحمه الله تعالىٰ :

(عن كعب بن عجرة قال : قيل للنبي ﷺ : قد عرفنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك؟ فنزلت هذه الآية .

وروىٰ الأصمعي قائلاً : سمعت المهدي علىٰ منبر البصرة يقول : إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه ، وثنىٰ بملائكته . فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ . . . الآية ﴾ آثره ﷺ بها من بين سائر الرسل ، واختصكم بها من بين الأنام ، فقابلوا نعمة الله بالشكر .

وقال الإمام سهل بن محمد بن سليمان : هذا التشريف الذي شرف الله به نبينا محمداً ﷺ بقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ . . الآية ﴾ أبلغ وأتم من تشريف آدم عليه السلام بأمر الملائكة بالسجود له ، لأنه لا يجوز أن يكون الله مع الملائكة في ذلك التشريف ، وقد أخبر الله تعالىٰ عن نفسه بالصلاة علىٰ النبي ، ثم عن الملائكة بالصلاة عليه ، فتشريفٌ صدر عنه أبلغ من تشريف تختص به الملائكة من غير جواز أن يكون الله معهم في ذلك)[1] .

لكن البحث في مسألة الصلاة عليه : كيفيتها ، وعلىٰ من أيضاً ، وممن و . . . ، فهذا مجال واسع ، لكن ما يهمنا في هذا المقام ما يدور حول آل البيت ، وقد شرح الإمام الحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ) رحمه الله تعالىٰ هذه الآية بما يزيد على عشرين صفحة!!!

---

(١) أسباب نزول القرآن : ٣٨١ـ٣٨٢ .

ودعّم أقواله ـ كعادته ـ بأحاديث نبوية موثقة ، من ذلك علىٰ سبيل المثال لا الحصر :

روىٰ البخاري عن كعب بن عجرة قال : قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه ، فكيف الصلاة؟ قال : « قولوا اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما صليت علىٰ إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللهم بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما باركت علىٰ إبراهيم ، إنك حميد مجيد » .

وروىٰ ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قالوا يا رسول الله علمنا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك؟ قال : « اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد ، كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد »[1] .

وذكر الحافظ ابن حجر الهيتمي طائفة من الأحاديث والاستنباطات ، من ذلك علىٰ سبيل المثال لا الحصر :

(لما أدخل النبي ﷺ أهل بيته في الكساء قال : « اللهم إنهم مني وأنا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم » .

وقضية استجابة هذا الدعاء أن الله صلىٰ عليهم معه ، فحينئذٍ طلب من المؤمنين صلاتهم عليهم معه .

ويروىٰ : « لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء ، فقالوا : وما الصلاة البتراء؟ قال : تقولون اللهم صل علىٰ محمد وتمسكون ، بل قولوا : اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد » .

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ٥/ ٤٩٤ .

وروىٰ أبو داود : « من سرّه أن يكتال بالمكيال الأوفىٰ ، إذا صلىٰ علينا أهل البيت فليقل : اللهم صل علىٰ النبي محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت علىٰ إبراهيم إنك حميد مجيد » .

وروىٰ الديلمي أنه ﷺ قال : « الدعاء محجوب حتىٰ يصلىٰ علىٰ محمد وأهل بيته » اللهم صل علىٰ محمد وآله الطيبين الطاهرين[1] .

ورحم الله الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ) الذي قال ـ ناقلاً عن الخطيب ـ :

(دخل يحيىٰ بن معاذ علىٰ علوي ببلخ أو بالري زائراً له ومسلّماً عليه ، فقال العلوي ليحيىٰ : ما تقول فينا أهل البيت؟

فقال : ما أقول في طين عجن بماء الوحي ، وغرست فيه شجرة النبوة ، وسُقي بماء الرسالة ، فهل يفوح منه إلا مسك الهدىٰ ، وعنبر التقىٰ ؟ !

فقال العلوي ليحيىٰ : إن زُرْتَنا فبفضلك ، وإن زرناك فلفضلك ، فلك الفضل زائراً ومزوراً)[2] .

محبة أهل البيت سرٌّ مطهرٌ ... يخصّ بها القلب المضيءُ المنور
ويحظىٰ بها مَنْ كمّل الله قدره ... وكان له من عالم الغيب مظهر
ومَنْ مثل هذا البيت في الفخر والعلىٰ ... وجدّهم طه الأمين وحيدر
فقل للذي أضحىٰ غبياً بشأنهم ... أتجهل قوماً وصفهم ليس يحصر
وهم أمن أهل الأرض والسادة الأولىٰ ... إذا ذكروا ما غيرهم قطّ يذكر

---

(١) الصواعق المحرقة : ١٤٧ ـ ١٤٨ .
(٢) القول البديع في الصلاة علىٰ الحبيب الشفيع : ١٢٤ـ١٢٥ .

ومن حبّهم يحمي وينجي من الردىٰ وبغضهم عن رحمة الله يدحر
وحسبُك ربُّ العرش أثنىٰ عليهم وهل فوق مدح الله عزّ ومفخر؟!

أجل ، أولئك هم آل بيت رسول الله ﷺ ، الذين لهم مكانة ومرتبة عالية بين بني البشر ، كيف لا؟ وعمود البيت هو حبيبنا محمد ﷺ .

أجل ، إن محبة آل البيت وإكرامهم والترحم عليه وودّهم واحترامهم ، إنما ذلك كله ينبع من محبة المؤمن بالله ورسوله ، وقد صدق الإمام علي رضي الله عنه بقوله :

لا يقاس بآل محمد ﷺ من هذه الأمة أحد ، ولا يُسوّىٰ بهم من جَرَت نعمتهم عليه أبداً ، هم أساس الدين ، وعماد اليقين ، ولهم خصائص حق الولاية ، وفيهم الوصية والوراثة[1] .

٩ـ في سورة الزمر :

يقول الله تعالىٰ : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر : ٢٢] .

قال الإمام الواحدي رحمه الله تعالىٰ :

نزلت في حمزة وعلي وأبي لهب وولده ، فعلي وحمزة رضي الله عنهما ممن شرح الله صدره ، وأبو لهب وأولاده الذين قست قلوبهم عن ذكر الله[2] .

وقال الإمام محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٢٨هـ) رحمه الله تعالىٰ في تفسير هذه الآية :

---

(١) نهج البلاغة : ١/ ٣١ .
(٢) أسباب نزول القرآن : ٣٨٨ـ٣٨٩

﴿أفمن﴾ عرف الله أنه من أهل اللطف فلطف به حتىٰ انشرح صدره للإسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب ، ونور الله : هو لطفه ، وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ، فقيل : يا رسول الله ، كيف انشراح الصدر؟ قال : « إذا دخل النور القلب انشرح وانفتح » .

فقيل : يا رسول الله ، فما علامة ذلك؟

قال : « الإنابة إلىٰ دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والتأهب للموت قبل نزول الموت » .

والحديث أخرجه الثعلبي والحاكم والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه[1] .

وهذه اللفتة القرآنية قارنت بين أناس كبار ـ كسيدنا حمزة وسيدنا علي ـ شرح الله صدرهم فدخلت الأنوار إلىٰ شغاف قلوبهم ، لتكون حياتهم امتداداً لألطاف الله وأنواره ، واقتباساً من أنوار رسول الله ﷺ .

بينما في الطرف الآخر نموذج الكفر والعناد وقساوة القلب والبُعد عن الحق ، إنه أبو لهب ومن سار علىٰ دربه ، فهم يعيشون في الظلام الدامس دائماً وأبداً .

١٠ـ في سورة الشورىٰ :

يقول الله تعالىٰ : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورىٰ : ٢٣] .

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٤/ ١٢٢ ، وللتوسع يراجع : تفسير البغوي : ٤/ ٧٦ ، تفسير النسفي : ٤/ ٨٢ ، تفسير ابن كثير : ٦/ ٨٦ .

وفي أسباب نزول هذه الآية قال الإمام الواحدي رحمه الله تعالىٰ : قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانت تنوبُه نوائب وحقوق ، وليس في يده لذلك سعة ، فقال الأنصار : إن هذا الرجل قد هداكم الله تعالىٰ به ، وهو ابن أختكم ، تنوبه نوائب وحقوق ، وليس في يده لذلك سعة ، فاجمعوا له من أموالكم ما لا يضركم ، فأتوه به ليعينه علىٰ ما ينوبه ، ففعلوا ثم أتوه به ، فقالوا : يا رسول الله ، إنك ابن أختنا وقد هدانا الله تعالىٰ علىٰ يديك ، وتنوبك نوائب وحقوق وليس لك عندها سعة ، فرأينا أن نجمع لك من أموالنا شيئاً فنأتيك به فتستعين به علىٰ ما ينوبك ، وها هو ذا ، فنزلت هذه الآية[1] .

وفي شرح هذه الآية يقول الإمام القرطبي (ت٦٧١هـ) رحمه الله تعالىٰ :

فيه مسألتان :

الأولىٰ : قوله تعالىٰ : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الشورى : ٢٣] . أي : قل يا محمد لا أسألكم علىٰ تبليغ الرسالة جعلاً .

﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ . قال الزجاج : (إلا المودة) استثناء ليس من الأول ، أي إلا أن تودُّوني لقرابتي فتحفظوني ، والخطاب لقريش خاصة ، قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد وأبو مالك والشعبي وغيرهم .

قال الشعبي : أكثرَ الناس علينا في هذه الآية فكتبنا إلىٰ ابن عباس نسأله عنها ، فكتب أن رسول الله ﷺ كان أوسط الناس في قريش ،

---

(١) أسباب نزول القرآن : ٣٩٥ .

فليس بطنٌ من بطونهم إلا وقد وَلَدَه ، فقال الله له : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ . إلا أن تودّوني في قرابتي منكم ، أي تراعوا ما بيني وبينكم فتصدّقوني .

فـ ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ها هنا قرابة الرحم كأنه قال : اتبعوني للقرابة إن لم تتبعوني للنبوة .

قال عكرمة : وكانت قريش تصل أرحامها فلما بُعث النبي ﷺ قطعته ، فقال : « صلوني كما كنتم تفعلون » فالمعنىٰ علىٰ هذا : قل لا أسألكم عليه أجراً لكن أذكركم قرابتي ، علىٰ استثناء ليس من الأول ، ذكره النحاس .

وفي البخاري عن طاووس عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالىٰ : ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ . فقال سعيد بن جُبير : قربىٰ آل محمد ﷺ ، فقال ابن عباس : عجلت! إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة ، فقال : إلا أن تصلوا ما بينكم من القرابة ، فهذا قول . وقيل : القربىٰ قرابة الرسول ﷺ ، أي لا أسألكم أجراً إلا أن تودّوا قرابتي وأهل بيتي ، كما أمر بإعظامهم ذوي القربىٰ ، وهذا قول علي بن حسين وعمرو بن شعيب والسُّدّي وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس : لما أنزل الله تعالىٰ : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ . قالوا : يا رسول الله ، من هؤلاء الذين نودّهم؟ قال : « علي وفاطمة وأبناؤهما » .

ويدل عليه أيضاً ما روي عن علي رضي الله عنه قال : شكوت إلىٰ النبي ﷺ حسد الناس لي ، فقال : « أما ترضىٰ أن تكون رابع أربعة أوّل من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا » .

وعن النبي ﷺ قال : « قال لي جبريل : قلبت مشارق الأرض ومغاربها ، فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ، وقلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم »[1] .

وقال الحسن وقتادة : المعنىٰ إلا أن يتوددوا إلىٰ الله عز وجل ويتقربوا إليه بطاعته ، فـ ﴿القربىٰ﴾ علىٰ هذا بمعنىٰ القربة ، يقال : قُرْبَة وقُربىٰ بمعنىٰ . كالزلفة والزلفىٰ .

وقال قوم : الآية منسوخة وإنما نزلت بمكة ، وكان المشركون يؤذون رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية ، وأمرهم الله بمودّة نبيه ﷺ ، فلما هاجر آوته الأنصار ونصروه ، وأراد الله أن يلحقه بإخوانه من الأنبياء حيث قالوا : ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٠٩] .

فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [سبأ : ٤٧] .

فنسخت بهذه الآية وبقوله : ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص : ٨٦] .

وقوله : ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ﴾ [المؤمنون : ٧٢] .

وقوله : ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ [الطور : ٤٠] .

وعن العباس قال : صعد رسول الله ﷺ المنبر ، فقال : « من أنا ؟ » قالوا : أنت رسول الله ، فقال ﷺ : « أنا محمد بن عبد الله بن عبد

---

(١) رواه أحمد .

المطلب . إن الله خلق الخلق ، فجعلني في خير خلقه ، وجعلهم فرقتين ، فجعلني في خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً ، فجعلني في خيرهم بيتاً »[1] .

وقال ﷺ : « أول مَنْ أشفعُ له يوم القيامة من أمتي أهل بيتي ، ثم الأقرب فالأقرب من قريش ، ثم الأنصار ، ثم مَنْ آمن بي واتبعني من اليمن ، ثم سائر العرب ، ثم الأعاجم ، ومَنْ أشفع له أولاً أفضل »[2] .

قال النحاس : ومذهب عكرمة ليست بمنسوخة ، قال : كانوا يصلون أرحامهم فلما بعث النبي ﷺ قطعوه فقال : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودّوني وتحفظوني لقرابتي ولا تكذبوني » .

قلت : وهذا هو معنىٰ قول ابن عباس في البخاري والشعبي عنه بعينه ، وعليه لا نسخ ، قال النحاس : وقول الحسن حسن ، ويدل علىٰ صحته الحديث المسند عن رسول الله ﷺ كما حدثنا أحمد بن محمد الأزدي قال أخبرنا الربيع بن سليمان المرادي قال أخبرنا أسد بن موسىٰ قال حدثنا قَزَعة ـ وهو ابن يزيد البصري ـ قال حدثنا عبد الله بن أبي نجيع عن مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال :

« لا أسألكم علىٰ ما أنبئكم به من البينات والهدىٰ أجراً إلا أن توادّوا الله عز وجل وأن تتقربوا إليه بطاعته » .

---

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه الطبراني والدارقطني .

فهذا المبيّن عن الله عز وجل قد قال هذا ، وكذا قالت الأنبياء صلىٰ الله عليهم وسلم قبله : ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [يونس : ٧٢] .

وأما قوله تعالىٰ : ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ أي يكتسب ، وأصل القرف الكسب ، يقال : فلان يَقْرف لعياله ، أي يكسب ، والاقتراف الاكتساب ، وهو مأخوذ من قولهم رجل قرفة ، إذا كان محتالاً .

وقال ابن عباس (ومن يقترف حسنة) قال المودة لآل محمد ﷺ (نزد له فيها حسناً) أي نضاعف له الحسنة بعشر فصاعداً .

(إن الله غفور شكور) قال قتادة : غفور للذنوب ، شكور للحسنات ، وقال السدي : غفور لذنوب آل محمد عليه السلام ، شكور لحسناتهم[1] .

ورحم الله الإمام الشافعي عندما قال :

وما زال كتمانيك حتىٰ كأنني ... بردّ جواب السائلين لأعجم
وأكتم ودّي مع صفاء مودّتي ... لتسلم من قول الوشاة وأسلم

قال العلامة أحمد محمد الخفاجي (ت١٠٦٩هـ) رحمه الله تعالىٰ :

(لقد اقتضت الأدلة علىٰ تحريم بغض أهل بيت النبوي ووجوب محبتهم ، قال البغوي[2] في الرد علىٰ من نسخ قوله تعالىٰ : ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ـ باختصار وتصرف ـ : ١٦/ ١٥ـ٢٧ .
(٢) تفسير البغوي ـ معالم التنزيل ـ : ٤/ ١٢٥ .

إن مودة النبي ﷺ ومودّة أقاربه من فرائض الدين .

وفي كتاب توثيق عرىٰ الإيمان للبارزي (ت٨٣٨هـ) نقلاً عن الشيخ العارف بالله تعالىٰ أبي الحسن الحراني في كلامه علىٰ الإيمان بخير الأنام ﷺ أن خواصّ العلماء رحمهم الله تعالىٰ من هذه الأمة يجدون لأجل اختصاصهم بهذا الإيمان حلاوةً ومحبةً خاصة لنبيهم وتقدّماً له في قلوبهم حتىٰ يجدوا الشارة علىٰ أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، ويحبون لحبّه قرابته وذرية صحابته ويجدون لهم في قلوبهم مزيّةً علىٰ غيرهم ويستحبون أن يعينوهم ويدنوهم رعايةً لآبائهم وعلماً باصطفاء نطفهم الكريمة ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ [الطور : ٢١] .

فلا يكونون عندهم كمن ليست له سابقة ، قال : وبالحقيقة لا يعدّ من المؤمنين من لم يجد رسول الله ﷺ وذريته أحبّ إليه وأعز عليه من أهله وولده والناس أجمعين .

ثم قال في موضع آخر : ومن علامات محبته ﷺ محبة ذريته وإكرامهم والإغضاء عن انتقادهم ، فما انتقد ذرية محمد ﷺ محبّ لمحمد قط!!!

ويرحم الله الكميت الأسدي حين قال :

طربت وما شوقاً إلىٰ البيض أطرب ... ولا لعباً وذو الشيب يلعب
ولم تلهني دار ولا رسم منزل ... ولم يتطرّبني بنان مخضب
ولا أنا ممن يزجر الطير همه ... أصاح غراب أم تعرّض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشيةً ... أمرّ سليم القرن أم مرّ أعضب
ولكن إلىٰ أهل الفضائل والتقىٰ ... وخير بني حوّاء والخير يطلب

إلىٰ النفر البيض الذين بحبهم ... إلىٰ الله فيما نابني أتقرب
بني هاشم رهط النبي وأهله ... بهم ولهم أرضىٰ مراراً وأغضب
فما لي إلا آل أحمد شيعة ... وما لي إلا مذهب الحق مذهب
بأي كتاب أم بأية سنّة ... ترىٰ حبّهم عاراً عليّ وتحسب؟
وجدنا لكم في آل حاميم آيةً ... تأوّلها منا تقيّ ومعرب
علىٰ أيّ جرم أم بأية سيرة ... أعنّف في تقريظهم وأكذّب؟
ألم ترني من حبّ آل محمد ... أروح وأغدو خائفاً أترقب؟!
فطائفة قد كفّرتني بحبّهم!! ... وطائفة قالت : مسيء ومذنب!!)[1]

ورحم الله الفخر الرازي حين لفت الانتباه إلىٰ شيء آخر عندما قال :

(فثبت أن هؤلاء الأربعة ـ علي وفاطمة والحسن والحسين ـ رضي الله عنهم أقارب النبي ﷺ ولذلك فإن لهم ميزة عظيمة يختصون بها ، ويدل علىٰ هذا وجوه :

الأول : قوله تعالىٰ : ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ . ووجه الاستدلال فيه واضح تماماً .

الثاني : لا شك أن النبي ﷺ كان يحب فاطمة ، قال ﷺ : « فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها » .

وثبت بالنقل المتواتر أن رسول الله ﷺ كان يحب علياً والحسن والحسين ، وإذا ثبت ذلك وجب علىٰ كل الأمة مثله ، لقوله تعالىٰ : ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

---

(١) تفسير آية المودة : ١٦٥ـ١٦٦ .

ولقوله تعالىٰ : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ [النور : ٦٣] .

ولقوله : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

ولقوله تعالىٰ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

[الأحزاب : ٢١] .

الثالث : أن الدعاء للآل منصب عظيم ، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله : « اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد وارحم محمداً وآل محمد » .

وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل ، فكل ذلك يدل علىٰ أن حب آل محمد واجب)[1] .

وقد وردت في ذلك أحاديث نبوية شريفة ، من ذلك ما رواه الإمام أحمد بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

لما نزلت : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ قالوا : يا رسول الله من هؤلاء الذين وجبت لنا مودتهم؟

قال : « علي وفاطمة والحسن والحسين »[2] .

وفي جواهر العقدين : (أخرج أبو الشيخ بن حبان في كتابه الثواب من طريق الواحدي عن أبي هاشم الزماني عن زادان عن عليّ كرم الله وجهه قال :

---

(١) التفسير الكبير ـ مفاتيح الغيب ـ : ١٤/ ١٦٥ـ١٦٧ .

(٢) للحديث روايات عديدة : صحيح البخاري : ٦/ ٣٧ ، صحيح مسلم : ٥/ ٢٧ ، مسند الإمام أحمد : ٢/ ٦٦٩ ، حلية الأولياء لأبي نعيم : ٣/ ٢٠١ ، المعجم الكبير للطبراني : ٣/ ٤٧ ، مجمع الزوائد للهيثمي : ٧/ ١٥٣ ، شواهد التنزيل للحسكاني : ٢/ ١٣٤ .

فينا آل ﴿حم عسق﴾[1] آية لا يحفظها من مودتنا إلا كل مؤمن ، ثم قرأ : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ .

وأخرج الملا في سيرته ، وقاله المحب الطبري :

إن رسول الله ﷺ قال : « إن الله جعل أجري عليكم المودة في القربىٰ وإني سائلكم غداً عنها » .

وفي المناقب : عن محمد الباقر رضي الله عنه قال في قوله تعالىٰ : ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سبأ : ٤٧] . يقول :

الأجر الذي هو المودّة في القربىٰ التي لم أسألكم غيرها فهو لكم ، تهتدون بها ، وتسعدون بها ، وتنجون من عذاب الله يوم القيامة .

فالمودة مشتقة من الود ، وهو الحب القوي الدائم الثابت .

وأخرج أبو المؤيد موفق بن أحمد الخوارزمي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، لا يزول قدم عبد يوم القيامة حتىٰ يُسْأَل عن عمره فيما أفناه ، وعن ماله ممّ كسبه وفيم أنفقه ، وعن حبّنا أهل البيت » .

أيضاً أخرجه جماعة منهم الترمذي عن بريدة الأسلمي ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح[2] .

وأخرج المحب الطبري أن الحسن بن علي رضي الله عنهما خطب فقال في خطبته : أنا من أهل البيت الذي افترض الله مودتهم علىٰ كل

---

(١) المقصود بها أوائل سورة الشورىٰ : / ١/ .

(٢) سنن الترمذي رقمه (٢٤١٧) ، سنن الدارمي : ١/ ١٣٥ .

مسلم ، فقال لنبيه ﷺ : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ﴾[1] [الشورى: ٢٣] .

ورحم الله القائل :

هم القومُ مَنْ أصفاهم الوُدَّ مخلصاً ... تمسّك في أخراه بالسبب الأقوىٰ
هم القومُ فاقوا العالمين مناقباً ... محاسنُهُم تُحكىٰ وآياتُهم تُروىٰ
موالاتهم فرضٌ وحُبُّهم هُدىٰ ... وطاعتهم ودٌّ وودّهُمُ تقوىٰ

١١ـ في سورة الطور :

قول الله تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ [الطور : ٢١] .

وفي بيان ما تهدف إليه هذه الآية ، قال العلامة تقي الدين أحمد علي المقريزي (ت٨٤٥هـ) :

(وقد اختلف الناس في معنىٰ الآية علىٰ ثلاثة أقوال :

أحدها ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما ، وابن جبير ، والجمهور : أخبر الله تعالىٰ أن المؤمنين الذين تتبعهم ذريتهم في الإيمان ، فيكونون مؤمنين كآبائهم ، وإن لم يكونوا في التقوىٰ والأعمال كالآباء فإنه يلحق الأبناء بمراتب أولئك الآباء كرامة للآباء .

---

(١) للتوسع يراجع : جواهر العقدين في فضل الشرفين للإمام نور الدين السمهودي : ٣١٧ـ٣١٩ وللتوسع في شرح آية المودة يراجع : الكشاف للزمخشري : ٤/ ٢٢١ ، تفسير ابن كثير : ٦/ ١٩٦ ، تفسير الطبري : ٢٥/ ٢٢ ، تفسير البغوي : ٤/ ١٢٤ ، تفسير النسفي : ٤/ ١٥٤ ، الدر المنثور للسيوطي : ٧/ ١٤٦ ، الصواعق المحرقة لابن حجر : ١٦٩ .

وقد ورد في هذا المعنىٰ حديث عن النبي ﷺ ، فجعلوا الحديث تفسير الآية ، وهو ما رواه جبارة بن المغلس ، حدثنا قيس عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته ، وإن كانوا دونه في العمل لتقرّ بهم عينه ، ثم قرأ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ قال : ما أنقصنا الآباء بما أعطيناه البنين[1] .

قال ابن عطية : وكذلك وردت أحاديث تقتضي أن الله تعالىٰ رحم الآباء رعياً للأبناء الصالحين .

ثانيها ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً والضحاك : معنىٰ هذه الآية أن الله تعالىٰ ألحق الأبناء الصغار بأحكام الآباء المؤمنين ، يعني الموارثة والدفن في قبور المسلمين ، وفي أحكام الآخرة ، وفي الجنة .

ومعنىٰ هذا القول : أن أولادهم الكبار تبعوهم بإيمان منهم ، وأولادهم الصغار تبعوهم بإيمان الآباء ، لأن الولد يُحْكَم له بالإسلام تبعاً لوالديه ، فيكون معنىٰ الآية علىٰ هذا : واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ، أي إن بلغت أن آمنت ألحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان .

ثالثها ـ ذهب بعض الناس إلىٰ إخراج هذا المعنىٰ من هذه الآية ، وذلك لا يترتب إلا بأن يجعل اسم الذرية بمثابة نوعهم علىٰ نحو ما هو في قوله تعالىٰ : ﴿ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ [يس : ٤١] .

---

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري : ٢٧/ ٢٤ .

وقال الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنه : إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله تعالىٰ الأبناء إلىٰ درجة الآباء ، وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلىٰ درجة الأبناء[1] .

وهذا القول اختيار الفرّاء ، والآباء علىٰ هذا القول داخلون في اسم الذرية ، ويجوز ذلك ، كما قيل في قوله تعالىٰ : ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ وقال ابن عطية : وفي هذا نظر .

وحكىٰ أبو حاتم عن الحسن أنه قال : الآية في الكبار من الذرية ، وليس فيها من الصغار شيء .

وحكىٰ الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري قولاً معناه أن الضمير في قوله ﴿بهم﴾ عائد علىٰ الذرية ، والضمير الذي بعده في ﴿ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ عائد علىٰ ﴿الَّذِيْنَ ءَامَنُواْ﴾ أي : اتبعتهم الكبار ، وألحقنا نحن بالكبار الصغار[2] .

قال المقريزي : خرّج الحاكم من حديث عبد الرزاق عن سفيان الثوري ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالىٰ : ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال : إن الله عز وجل يرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة ، وإن كانوا دونه في العمل ، ثم قرأ : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ .

وروىٰ شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير قال : يدخل الرجل الجنة فيقول :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٧/ ٦٧ .
(٢) تفسير الطبري : ٢٧/ ٢٦ .

أين أبي؟ أين أمي؟ أين ولدي؟ أين زوجتي؟

فيقال له : لم يعملوا مثل عملك .

فيقول : كنت أعمل لي ولهم!!

فيقال لهم : ادخلوا الجنة ، ثم قرأ : ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ ﴾ [الرعد : ٢٣] .

قال المقريزي رحمه الله تعالىٰ : فإذا أكرم الله تعالىٰ المؤمن لإيمانه ، فجعل ذريته الذين لم يستحقوا درجته معه في الجنة لتقصيرهم ، فالمصطفىٰ ﷺ أكرم علىٰ ربه تبارك وتعالىٰ من أن يهين ذريته بإدخالهم النار في الآخرة ، وهو عز وجل يقول : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ ﴾ [آل عمران : ١٩٢] .

بل من كمال شرفه ﷺ ورفيع قدره ، وعظيم منزلته عند الله عز وجل أن يقر الله سبحانه وتعالىٰ عينه بالعفو عن جرائم ذريته ، والتجاوز عن معاصيهم ، ومغفرة ذنوبهم ، وأن يدخلهم الجنة من غير عذاب جهنم)[1] .

ويؤيد ذلك أحاديث نبوية شريفة ، من ذلك ما أخرجه الديلمي بالسند المتصل إلىٰ عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : « سألت ربي ألاّ يدخل النار أحد من أهل بيتي فأعطاني ذلك »[2] .

وما أخرجه الحاكم عن أنس رضي الله عنه قال : قال

---

(١) فضل آل البيت : ٥٦ـ٦٠ بتصرف واختصار .

(٢) الفردوس رقمه (٣٤٠٣) ، وكنز العمال للمتقي الهندي رقمه (٣٤١٤٩) .

رسول الله ﷺ : « وعدني ربي في أهل بيتي من أقرّ منهم بالتوحيد ، ولي بالبلاغ : ألاّ يعذبهم »[1] .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « اللهم إنهم عترة رسولك ، فهب مسيئهم لمحسنهم ، وهبهم لي ففعل وهو فاعل ، قال قلت : ما فعل؟ قال : فعله ربكم بكم ويفعله بمن بعدكم »[2] .

وعن أبي رافع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه : « إن أول أربعة يدخلون الجنة : أنا ، وأنت ، والحسن ، والحسين ، وذرياتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذرياتنا ، وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا »[3] .

وفي كتب التفسير والصحاح والسنن وغيرها الكثير الكثير من ذلك[4] .

ويرحم الله القائل في مدح آل بيت رسول الله ﷺ :

يا أهل بيت المصطفىٰ عجباً ... يأبىٰ مديحكم من الأقوام
والله قد أثنىٰ عليكم قبلها ... وبهديكم شدت عرىٰ الإسلام
الله يحشر كل من عاداكم ... يوم الحساب مزلزل الأقدام

---

(١) مستدرك الحاكم : ٣/ ١٦٣ .
(٢) ذخائر العقبىٰ للمحب الطبري : ٢٠ـ٢١ .
(٣) المعجم الكبير للطبراني : ٣/ ٤١ .
(٤) للتوسع في ذلك يراجع :
البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي : ٩/ ٥٦٩ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٧/ ٦٦ ، الكشاف للزمخشري : ٤/ ٤١٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٦/ ٤٣٢ ، تفسير البغوي : ٤/ ٢٣٨ ، تفسير النسفي : ٤/ ٢٧٩ ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري : ٢٧/ ٢٦ .

١٢ـ في سورة المجادلة :

يقول الله تعالىٰ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة : ١٢ـ١٣] .

وفي أسباب نزول الآية يقول الإمام السيوطي رحمه الله تعالىٰ :

أخرج الترمذي وحسّنه ، وغيره ، عن علي رضي الله عنه قال : لما نزلت : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ . . .الآية﴾ قال لي النبي ﷺ : ما ترىٰ؟ دينارٌ ؟ قلت : لا يطيقونه ، قال : فنصف دينار؟ قلت : لا يطيقونه . قال : فكم؟ قلت : شعيرة ، قال : إنك لزهيد ، فنزلت : ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ . .الآية﴾ فبي خفف الله عن هذه الأمة ، وقال الترمذي : حديث حسن[1] .

بينما يرىٰ الإمام الواحدي في أسباب نزول الآية شيئاً آخر ، قال :

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن في كتاب الله لآيةً ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ كان لي دينار فبعته بدراهم ، وكنت إذا ناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتىٰ نفد ، فنسخت بالآية الأخرىٰ : ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾[2] .

لكن الزمخشري يضيف علىٰ ذلك بقوله :

---

(١) أسباب النزول : ٣٧٠ . والترمذي برقم (٣٣٠٠). و«شعيرة» : أي : وزن شعيرة من ذَهَب.

(٢) أسباب نزول القرآن : ٤٣٨ .

قال الكلبي : تصدّق علي بن أبي طالب بالدينار في عشر كلمات سألهن رسول الله ﷺ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : كان لعليّ ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إليّ من حمر النعم : تزويجه فاطمة ، وإعطاؤه الراية يوم خيبر ، وآية النجوىٰ[1] .

١٣ـ في سورة الممتحنة :

قول الله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة : ١] .

قال الإمام علي رضي الله عنه :

بعثنا رسول الله ﷺ : أنا والزبير والمقداد بن الأسود ، قال : « انطلقوا حتىٰ تأتوا روضة خاخ فإن فيها ظعينة معها كتاب » فخرجنا تعادىٰ بنا خيلنا ، فإذا نحن بظعينة ، فقلنا : أخرجي الكتاب ، فقالت : ما معي كتاب! فقلنا لها : لتخرجن الكتاب ، أو لنلقين الثياب ، فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله ﷺ ، فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ أناس من المشركين ممن كان بمكة ، يخبر

---

(١) الكشاف للزمخشري : ٤/ ٤٨٤ ، وللتوسع في ذلك يراجع :
تفسير ابن كثير : ٦/ ٥٨٦ ، تفسير البغوي : ٤/ ٣٠٣ ، الدر المنثور للسيوطي : ٦/ ١٨٥ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٧/ ٣٠٢ ، جامع البيان للطبري : ٢٨/ ١٥ ، الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس : ٢٣١ ، مستدرك الحاكم : ٢/ ٤٨٢ .

ببعض أمر النبي ﷺ ، فقال : « ما هذا يا حاطب؟ » فقال : لا تعجل عليّ ، إني كنت امرأً ملصقاً في قريش ، ولم أكن من أنفُسِها ، وكان معك من المهاجرين لهم قراباتٌ يحمون بها قراباتهم ، ولم يكن لي بمكة قرابة ، فأحببتُ إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يداً ، والله ما فعلته شاكاً في ديني ، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام .

فقال رسول الله ﷺ : « إنه قد صدق » فقال عمر رضي الله عنه :

دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق!

فقال : « إنه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعلّ الله اطلع علىٰ أهل بدرٍ فقال :

اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فنزلت هذه الآية[1] .

لعلّ هذه الآيات هي أهم ما اتفق عليه المسلمون في فضائل آل بيت رسول الله ﷺ ، وقد سلطنا بعض الأضواء علىٰ ما قاله المفسرون في ذلك ، وعلىٰ أسباب نزولها أيضاً .

لكن يبقىٰ أن نقول شيئاً هو : أن هناك طائفة كبيرة من الآيات القرآنية ذكر بعض العلماء في القديم والحديث أنها نزلت في آل بيت

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي : ٤٤٩ ، وللتوسع يراجع :
تفسير القرآن العظيم : ٤/ ٣٤٤ ، الدر المنثور : ٦/ ٢٠٣ ، الجامع لأحكام القرآن : ١٨/ ٥٠ ، جامع البيان عن آي القرآن للطبري : ٢٨/ ١٣٨ ، أحكام القرآن للشافعي : ٢/ ٤٧ ، السنن الكبرىٰ للبيهقي : ٩/ ١٤٦ ، سنن الترمذي : ١٢/ ١٩٤ ، صحيح البخاري : ٦/ ١٤٩ ، شرح صحيح مسلم للنووي : ١٦/ ٥٤ ، فتح الباري لابن حجر العسقلاني : ٦/ ٨٨ ، تفسير النسفي : ٤/ ٣٤٠ ، الكشاف للزمخشري : ٤/ ٥١٠ .

رسول الله ﷺ ، لذلك سأذكر بعض النماذج مع الإشارة السريعة إلىٰ المصادر والمراجع التي تتحدث عن ذلك ، ومن أراد الزيادة أو التوسع فليرجع إلىٰ تلك المصادر والمراجع :

في قول الله تعالىٰ : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾

[آل عمران : ١٠٣] .

ينقل ابن حجر الهيتمي ونور الدين السمهودي والثعالبي عن جعفر الصادق رضي الله عنه قال : نحن حبل الله .

وفي قول الله تعالىٰ : ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج : ١ـ٤] .

ينقل السمهودي والثعالبي عن جعفر الصادق أنها نزلت في قصة (غديرخم) .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة : ٥٥ـ٥٦] .

ينقل الثعالبي في تفسيره ، ونور الدين السمهودي ، أنها نزلت في علي رضي الله عنه .

وفي قول الله تعالىٰ : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات : ٢٤] .

ينقل الفيروز آبادي والهيثمي ، والقندوزي الحنفي ، وابن حجر أنها نزلت في السؤال عن ولاية علي وأهل بيته .

وفي قول الله تعالىٰ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] .

يروي البخاري ومسلم وأحمد والقاضي عياض والسمهودي والقندوزي أن عشيرته عليه الصلاة والسلام هم صفية وفاطمة .

وفي قول الله تعالىٰ : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ [الضحىٰ : ٥] .

يروي ابن حجر ، والحاكم ، والمتقي الهندي ، والإمام أحمد ، والسمهودي ، والقرطبي ، والقندوزي الحنفي أن رضاه ﷺ ألاّ يدخل أحد من أهل بيته النار .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة : ٧] .

يروي ابن حجر ، والقندوزي الحنفي أنها نزلت في علي رضي الله عنه وشيعته .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ﴾

[الأعراف : ٤٦] .

ينقل الثعالبي في تفسيره أن الأعراف موضع عال من الصراط عليه العباس وحمزة وعلي وجعفر رضي الله عنهم جميعاً ، ومثله عند الفيروز آبادي ، والقندوزي الحنفي ، وابن حجر .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾

[الأنفال : ٣٣] .

يروي ابن حجر والسمهودي أنها نزلت في آل بيت رسول الله ﷺ .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾

[طه : ٨٢] .

يروي ابن حجر والديلمي أنه : أي اهتدىٰ إلىٰ ولاية أهل بيته .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝١٣ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ۝١٤ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ۝١٥ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٦ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٧ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٨ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝١٩ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢٠ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ۝٢٢ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ۝٢٣ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٢٤ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾ [الأحزاب : ١٠ـ٢٥] .

وهي قصة غزوة الأحزاب ، كان ابن مسعود رضي الله عنه يقرأ : وكفىٰ الله المؤمنين القتال بعلي ، هذا ما رواه السيوطي والقندوزي الحنفي .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩] .

يروي السيوطي : هم محمد ﷺ وآل بيته[1] .

* * *

(١) للتوسع في ذلك يراجع : الدر المنثور للسيوطي : ٦/ ٢٦٠ ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ١/ ٣٥٨ ، جواهر العقدين : ٢٦٦ ، الصواعق المحرقة : ١٦٠ ، فضائل الخمسة للفيروز آبادي : ١/ ٢٨١ .

الفصل الثاني

فضائل آل البيت في الأحاديث النبوية

ورد الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي تبين فضائل آل البيت ، ومن ثَمَّ فهي تحضّ المسلمين علىٰ محبتهم وموالاتهم ، وتحذر كل من يبغضهم .

كل ذلك من خلال ارتباطهم وقربهم من رسول الله ﷺ ، لذلك أصبحت مودتهم إحدىٰ الشعائر الإسلامية الراسخة .

من هنا نفهم السرّ الكامن وراء تصدّي علماء الأمة لجمع فضائل آل البيت من كتب الحديث النبوي الشريف ، فكان من أولئكم العلماء من أفرد في ذلك كتباً خاصة ، مثل كتاب (المناقب) للنسائي ، و (فرائد السمطين في فضائل المرتضىٰ والزهراء والسبطين) للإمام الجويني ، و (مسند فاطمة) للدارقطني ، و (المناقب) لابن المغازلي .

بينما دمج بعض العلماء هذا الأمر مع أمور أخرىٰ عن آل البيت ، ونحن في هذه العجالة وبعد أن تحدثنا عن غالبية الآيات القرآنية في هذا المجال ، لابدّ أن نسرد بعض الأحاديث النبوية الشريفة في فضائل آل البيت ، ومن ثم نشير إلىٰ أهم المصادر والمراجع لمن أراد الزيادة في ذلك .

روىٰ المطلب بن ربيعة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل قلب امرىء مسلم إيمان حتىٰ يحبكم لله ولرسوله ولقرابتي »[1] .

وروىٰ زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يتفرقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما »[2] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أحبّوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبوني لحبّ الله ، وأحبوا أهل بيتي لحبّي »[3] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت رجل إلا أدخله الله النار »[4] .

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : « مَثَلُ أهل بيتي مثل سفينة نوحٍ ، من ركبها نجا ، ومن تركها غرق »[5] .

وعن فاطمة الزهراء رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « كل بني آدم ينتمون إلىٰ عصبةٍ ، إلا وَلَدَ فاطمة فأنا وليّهم ، وأنا عصبتهم »[6] .

---

(١) مسند أحمد : ١/ ٢٠٧ ، مستدرك الحاكم : ٤/ ٧٥ ، سنن الترمذي برقم (٣٧٥٨) .

(٢) جمع الجوامع للسيوطي برقم (٨٠١٩) ، سنن الترمذي رقمه (٣٧٨٨) ، مستدرك الحاكم : ٣/ ١٤٦ ، مجمع الزوائد الهيثمي : ٩/ ١٦٣ .

(٣) سنن الترمذي : رقمه (٣٧٨٩) ، الجامع الصغير للسيوطي : رقمه (٢٢٤) .

(٤) مستدرك الحاكم : ٣/ ١٥٠ .

(٥) مجمع الزوائد : ٩/ ١٦٨ ، الجامع الصغير : رقمه (٨١٦٢) .

(٦) مستدرك الحاكم : ٣/ ١٦٤ ، الجامع الكبير للسيوطي : ١/ ٦٢٢ .

وعن ابن عمر وابن عباس وجابر رضي الله عنهم ، أن النبي ﷺ قال : « كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري »[١] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « وعدني ربي في أهل بيتي من أقرّ منهم بالتوحيد وَلِيَ بالبلاغ ألاّ يعذبهم »[٢] .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « شفاعتي لأمتي من أحب أهل بيتي »[٣] .

وعن علي رضي الله عنه قال : « أدِّبوا أولادكم علىٰ ثلاث خصال : حبّ نبيكم وحب أهل نبيكم ، وعلىٰ قراءة القرآن ، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه »[٤] .

وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أربعةٌ أنا شفيعٌ لهم يوم القيامة : المكرم لذريتي ، والقاضي لهم حوائجهم ، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه ، والمحب لهم بقلبه ولسانه »[٥] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اشتد غضب الله علىٰ من آذاني في عترتي »[٦] .

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من

---

(١) مجمع الزوائد : ٩/ ١٧٣ ، الجامع الصغير : رقمه (٦٣٠٩) .
(٢) الجامع الصغير : رقمه (٩٦٢٣) .
(٣) جمع الجوامع للسيوطي : ١/ ٣٣٩ .
(٤) الجامع الصغير : رقمه (٣١١) .
(٥) جمع الجوامع للسيوطي : رقمه (٢٩٢٠) .
(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي : ١/ ٥١٦ .

أولىٰ رجلاً من بني عبد المطلب معروفاً في الدنيا فلم يقدر المطلبي علىٰ مكافأته ، فأنا أكافئه عنه يوم القيامة »[1] .

وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً قالت : قال رسول الله ﷺ : « ستةٌ لعنهم الله وكلُّ نبي مجابُ الدعوة : الزائد في كتاب الله ، والمكذب بقدرِ الله ، والمتسلط بالجبروت فيعزُّ بذلك من أذلّ الله ويُذلُّ من أعزّ الله ، والمستحلّ لحرم الله ، والمستحل من عترتي ما حرم الله ، والتارك لسنتي »[2] .

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس : إني لكم فرطٌ ، وإني أوصيكم بعترتي خيراً ، موعدكم الحوض »[3] .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أنه دخل علىٰ النبي ﷺ وقد بسط شَمْلَةً ، فجلس عليها وهو وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، ثم أخذ النبي ﷺ بمجامعه ، فعقد عليهم ثم قال : « اللهم ارض عنهم كما أنا عنهم راضٍ »[4] .

وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « علي مني وأنا منه ، وهو وليّ كل مؤمن ومؤمنة بعدي »[5] .

---

(١) جمع الجوامع : ١/٧٥٨ .
(٢) الجامع الصغير : رقمه (٤٦٦٠) ، فيض القدير : ٤/٩٦ .
(٣) الجامع الكبير للسيوطي : رقمه (٩٥٧٧) .
(٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ٩/١٦٩ .
(٥) سنن الترمذي : ٥/٢٩٦ ، مسند أحمد : ٤/٤٣٧ .

وأما فضائل علي رضي الله عنه ، فقد ذكرها كُتَّاب التراجم والسير ومن جمعوا الأحاديث النبوية الشريفة ، من ذلك مثلاً :

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أوّلكم وارداً عليّ الحوض أوّلكم إسلاماً علي بن أبي طالب »[1] .

وعن الشعبي قال : رأىٰ أبو بكر الصديق علياً رضي الله عنهما فقال : من سرّه أن ينظر إلىٰ أعظم الناس منزلةً من رسول الله ﷺ وأقربه قرابةً وأعظمه غناءً عن نبيه ، فلينظر إلىٰ هذا[2] .

وعن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ خرج إلىٰ تبوك واستخلف علياً ، فقال : أتخلفني في الصبيان والنساء؟

قال : « ألا ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلا أنه لا نبي بعدي؟ »[3] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : آخىٰ رسول الله ﷺ بين أصحابه ، فجاء علي رضي الله عنه تدمع عيناه ، فقال : يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد؟ فقال له رسول الله : « أنت أخي في الدنيا والآخرة »[4] .

وعن ربعي بن حراش قال : حدثنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالرحبة ، قال : لما كان يوم الحديبية خرج إلينا ناس من المشركين

---

(١) مستدرك الحاكم على الصحيحين : ٣/ ١٤٧ ، مجمع الزوائد : ٩/ ١٠٢ .
(٢) الرياض النضرة للطبري : ٣/ ١٠٧ ، كنز العمال للمتقي الهندي : ١٣/ ١١٥ .
(٣) صحيح البخاري : ٣/ ١٣٥٩ ، صحيح مسلم : ٥/ ٢٣ ، سنن ابن ماجه : ١/ ٤٢ ، مسند أحمد : ١/ ٢٨٤ .
(٤) سنن الترمذي : ٢/ ٢٩٩ .

فيهم سهيل بن عمرو ، وأناس من رؤساء المشركين ، فقالوا : يا رسول الله خرج إليك ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقائنا وليس لهم فقه في الدين ، وإنما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا فارْدُدْهُمْ إلينا ، قال : فإن لم يكن لهم فقه في الدين سنفقههم .

فقال النبي ﷺ : « يا معشر قريش لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف علىٰ الدين قد امتحن الله قلبه علىٰ الإيمان » .

قالوا : من هو يا رسول الله؟ فقال له أبو بكر : من هو يا رسول الله؟ وقال عمر : من هو يا رسول الله؟

قال : « هو خاصف النعل » وكان أعطىٰ علياً رضي الله عنه نعله يخصفها .

قال : ثم التفت إلينا علي فقال : إن رسول الله ﷺ قال : « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »[1] .

وعن سلمة بن الأكوع قال : كان علي رضي الله عنه تخلف عن النبي ﷺ في خيبر . وكان به رمد ، فقال : أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ فخرج علي رضي الله عنه فلحق بالنبي ﷺ ، فلما كان مساء الليلة التي فتحها في صباحها فقال رسول الله ﷺ : « لأعطين الراية ـ أو قال : ليأخذن ـ غداً رجل يحب الله ورسوله ـ أو قال : يحبه الله ورسوله ـ يفتح الله عليه ، فإذا نحن بعلي وما نرجوه ، فقالوا : هذا علي ، فأعطاه رسول الله ﷺ ففتح الله عليه[2] .

---

(١) سنن الترمذي : رقمه (٣٧١٥) ، خصائص علي للنسائي : ١١ .

(٢) صحيح البخاري : ٣/١٠٨٦ ، صحيح مسلم : رقمه (٣٣) . سنن النسائي : =

وعن علي رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا علي أحب لك ما أحب لنفسي ، وأكره لك ما أكره لنفسي »[1] .

وعن جُميع بن عمير التيمي قال : دخلت مع عمتي علىٰ عائشة فسألت : أي الناس كان أحب إلىٰ رسول الله ﷺ؟

قالت : فاطمة ، فقيل : من الرجال؟ قالت : زوجها إن كان ما علمت صواماً قواماً[2] .

وعن علي رضي الله عنه قال : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إنه لعهد النبي الأمي إليّ أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق[3] .

وعن عبد الله الجدلي قال : دخلت علىٰ أم سلمة فقالت لي : أيسب رسول الله فيكم؟ فقلت : معاذ الله ، أو سبحان الله ، أو كلمة نحوها .

فقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سب علياً فقد سبني »[4] .

= ٥/ ١١٠ ، سنن البيهقي : ٦/ ٣٦٢ ، مسند أحمد : ٦/ ٤٥٥ ، المعجم الكبير للطبراني : ٦/ ١٥٢ .

(١) سنن الترمذي : رقمه (٢٨٢) ، سنن أبي داود : ٢/ ٢٥ ، مسند أحمد : ١/ ٢٣٥ ، سنن الدارقطني : ١/ ١١٨ ، مصنف عبد الرزاق : ٢/ ١٤٤ .

(٢) سنن الترمذي : ٢/ ٣١٠ ، سنن النسائي : ٥/ ١٣٩ ، مستدرك الحاكم : ٣/ ١٧١ .

(٣) صحيح مسلم : ١/ ١٢٠ ، سنن الترمذي : ٥/ ٦٠١ ، سنن النسائي : ٥/ ١٣٧ ، سنن ابن ماجه : ١/ ٤٢ ، مسند أحمد : ١/ ١٣٥ .

(٤) مسند أحمد : ٧/ ٤٥٥ ، سنن النسائي : ٥/ ٣٣ ، مستدرك الحاكم : ٣/ ١٣٠ .

وأما الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في فضائل السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها فهي أكثر من أن تحصر ، لكن يكفي إيراد نماذج منها :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : أقبلت فاطمة رضي الله عنها تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : « مرحباً بابنتي » ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم أسرّ إليها حديثاً ، فبكت ، فقلت لها : لم تبكين؟ ثم أسرّ إليها حديثاً فضحكت ، فقلت : ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن ، فسألتها عما قال ، فقالت : ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حتىٰ قُبض النبي ، فسألتها ، فقالت : أسرّ إليَّ أن جبريل كان يعارضني القرآن في كل سنة مرة ، وأنه عارضني العام مرتين ، ولا أراه إلا حضر أجلي ، وإنكِ أول أهل بيتي لحاقاً بي ، فبكيت ، فقال : « أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟ » فضحكت لذلك[1] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ أقام أياماً لم يطعم طعاماً حتى شقّ ذلك عليه ، فطاف في منازل أزواجه فلم يصب في بيت أحد منهن شيئاً ، فأتىٰ فاطمة رضي الله عنها فقال : « يا بنية هل عندك شيء آكل فإني جائع؟ » فقالت : لا والله بأبي أنت وأمي ، فلما خرج رسول الله ﷺ من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وبضعة لحم ، فأخذته منها ووضعته في جفنة وغطّت عليه وقالت : لأوثرن بها رسول الله ﷺ علىٰ نفسي ومن عندي وكانوا جميعاً محتاجين إلىٰ شبعة من طعام ، فبعثت حسناً وحسيناً إلىٰ جدهما رسول الله ﷺ فرجع

---

(١) صحيح البخاري : ٣/ ١٣٢٦ ، صحيح مسلم : ٥/ ٥٦ ، سنن ابن ماجه : رقمه (١٦٢١) ، مسند أحمد : ٧/ ٤٠١ ، سنن النسائي : ٥/ ٩٦ .

إليها ، فقالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد أتانا الله بشيء فخبأته لك ، قال : فهلمّي به ، فأتي به ، فكشف عن الجفنة فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً ، فلما نظرت إليه بهتت وعرفت أنها من بركة الله ، فحمدت الله تعالىٰ وصلّت علىٰ نبيه ، فقال : من أين لك هذا يا بنية؟

قالت : هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، فحمد الله رسول الله ﷺ وقال : الحمد لله الذي جعلك شبيهةً بسيدة نساء بني إسرائيل فإنها كانت إذا رزقها الله رزقاً حسناً فسئلت عنه قالت : ﴿ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٣٧] .

فبعث رسول الله ﷺ إلىٰ علي رضي الله عنه ، فأتىٰ ، فأكل الرسول وعلي وفاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي حتىٰ شبعوا وبقيت الجفنة كما هي .

قالت فاطمة رضي الله عنها : وأوسعت منها علىٰ جيراني ، وجعل الله فيها بركةً وخيراً طويلاً ، وكان أصل الجفنة رغيفين وبضعة لحم والباقي بركة من الله تعالىٰ[1] .

وأما فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما في الأحاديث النبوية الشريفة فهي أيضاً كثيرة ، ومن ذلك :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يعوّذ الحسن والحسين رضي الله عنهما ويقول : « إن أباكما كان يعوّذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامّة ، ومن كل عين لامّة »[2] .

---

(١) الكشاف للزمخشري : ١/٤٢٧ ، الدر المنثور للسيوطي : ٢/١٨٦ .

(٢) صحيح البخاري : ٣/١٢٣٣ ، سنن الترمذي : ٤/٣٤٦ ، سنن ابن ماجه رقمه (٣٥٢٥) .

وعن ابن أبي نعم ، قال : كنت شاهداً لابن عمر رضي الله عنهما وسأله رجل عن دم البعوض ، فقال : ممن أنت؟ فقال : من أهل العراق ، قال : انظروا إلىٰ هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبي ﷺ ، وسمعت النبي ﷺ يقول : « هما ريحانتاي من الدنيا »[1] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ أي أهل بيتك أحب إليك؟ قال : « الحسن والحسين » .

وكان يقول لفاطمة رضي الله عنها : « ادعي ابنيّ » فيشمهما ويضمهما إليه[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني »[3] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة »[4] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لا أزال أحب هذا الرجل ـ الحسن رضي الله عنه ـ بعد ما رأيت رسول الله ﷺ يصنع ما يصنع .

رأيت الحسن في حجر النبي ﷺ وهو يدخل أصابعه في لحية النبي

---

(١) صحيح البخاري : ٥/ ٢٢٣٤ ، سنن الترمذي : ٥/ ٦١٥ ، سنن النسائي : رقمه (٨٥٣٠) ، مسند أحمد : ٢/ ٢٠٨ .

(٢) سنن الترمذي : ٢/ ٣٠ .

(٣) سنن ابن ماجه رقمه (١٤٣) ، مسند أحمد : ٢/ ٥٦١ .

(٤) سنن الترمذي : ٥/ ٦١٤ ، سنن النسائي : ٥/ ١٤٩ ، المعجم الكبير للطبراني : ٣/ ٣٥ ، مجمع الزوائد للهيثمي : ٩/ ١٨٤ .

صلوات الله عليه والنبي يدخل لسانه في فمه ، ثم قال : « اللهم إني أحبّه فأحبّه »[1] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ راقد إذ جاء الحسن رضي الله عنه يدرج حتىٰ قعد علىٰ صدره ثم بال عليه فجئت أميطه عنه قال : « ويحك يا أنس دع ابني وثمرة فؤادي فإن من آذىٰ هذا فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذىٰ الله سبحانه »[2] .

وعن يعلىٰ بن مرة قال : قال رسول الله ﷺ : « حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً ، حسين سبط من الأسباط »[3] .

وبعد ،

فهذه بعض اللمحات السريعة من أحاديث نبينا ﷺ في فضائل أهل البيت رضي الله عنهم ، وصدق القائل في حقهم :

آل بيت النبي طبتم وطاب الـ ـمدح لي فيكم وطاب الثناء
قد أضاءت منكم وجوه صباح فعليكم من الإله بهاء
لكم الفخر والتقدم والعـ ـز دواماً والرتبة العلياء

* * *

(١) مستدرك الحاكم : ٣/ ١٦٩ .
(٢) كنز العمال : ١٢/ ١٢٥ ، المعجم الكبير للطبراني : ٣/ ٤٠٢ .
(٣) سنن الترمذي رقمه : (٣٧٧٥)

الخاتمة

عندما سمع الرعيل الأول من هذه الأمة الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تشجع علىٰ حب آل البيت واحترامهم ومودتهم ، مثال ذلك قول رسول الله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحبَّ إليه من نفسه ، وأهلي أحبَّ إليه من أهله ، وعترتي أحبَّ إليه من عترته ، وذريتي أحبَّ إليه من ذريته »[1] .

وعندما سمعوا أن أهل البيت ومحبيهم مع رسول الله ﷺ في الجنة ، كما روىٰ علي رضي الله عنه قال : أخبرنا رسول الله ﷺ قال : « إن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين » عندها علم الصحابة الكرام أن لأهل البيت مزية كبيرة ، ولا سيما علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لذلك سطر التاريخ أقوالاً رائعة صدرت منهم في حق آل البيت ، من ذلك قول عمر رضي الله عنه :علي أقضانا ، وقول ابن عباس رضي الله عنهما : إذا حدثنا ثقة شيئاً عن علي أخذناه لا نعدل عنه ، وقول عائشة رضي الله عنها : إن علياً أعلم بالسنة ، وقول ابن

---

(١) المعجم الكبير للطبراني : ٧/ ٧٥ ، شعب الإيمان للبيهقي : ٢/ ١٨٩ ، مجمع الزوائد : ١/ ٨٨ ، كنز العمال للمتقي الهندي : ١/ ٤٤ .

مسعود رضي الله عنه : أفرض أهل المدينة وأقضاها علي .

نعم ، إنهم آل بيت رسول الله ﷺ ، فأنىٰ أردت التحدث عنهم وجدتهم السباقين إلىٰ الفضل والخير والأخلاق الحميدة ، وقد صدق الإمام علي رضي الله عنه عندما تحدث عن مراتب آل البيت فقال : (فيهم كرائم القرآن ، وهم كنوز الرحمن ، إن نطقوا صدقوا ، وإن صمتوا لم يُسبقوا) .

وعندما تحدث عن طاقاتهم العلمية قال : (هم عيش العلم ، وموت الجهل ، يخبركم حلمُهُم عن علمهم ، وصمتهم عن حِكَم منطقهم ، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه ، هم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام) .

هذه الإطلالة السريعة علىٰ فضائل آل بيت رسول الله ، من القرآن والسنة ، ليست إلا محاولة متواضعة لتبيان شيء بسيط من حبنا لآل بيت رسول الله ﷺ ، مرددين مع المحب إبراهيم البغدادي رحمه الله :

بحبّ بني الزهراء همت أنا وجدا ... وحسبي بهم فخراً وحسبي بهم مجدا

فلا تتهموني في محبة غيرهم ... فما والهوىٰ أخلصت إلاّ لهم ودّا

أشبّب في سعدىٰ مجازاً وإنما ... حقيقة تشبيبي بهم ليس في سعدىٰ

لقد عذبت لي من نداهم موارد ... عذوبتها تالله قد فاقت الشهدا

ومهما ترم نفسي السيادة والعلا ... ترم أنها تبقىٰ علىٰ بابهم عبدا

صلاة الله وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله ، وسلام الله علىٰ آل بيتك الطيبين الطاهرين ، وأخصّ بالذكر سيدنا علي وسيدتنا الزهراء ،

وسيدنا الحسن والحسين ، سائلاً المولىٰ سبحانه في علاه أن يغفر لنا كل ما نسينا أو أخطأنا ، وصدق الله العظيم القائل : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

المصادر والمراجع

١ ـ أحكام القرآن : ابن العربي ، تحقيق عبد القادر عطا ، ط١ـ١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢ ـ أسباب نزول القرآن ، للإمام الواحدي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ط١ـ ١٩٦٩م ، دار الكتاب الجديد ، القاهرة .

٣ ـ تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، لابن جرير الطبري ، تحقيق محمود شاكر ، ط١ـ ١٩٥٤م ، دار المعارف ، بيروت .

٤ ـ تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير ، ط١ـ ١٩٦٦م ، دار الأندلس ، بيروت .

٥ ـ تفسير النسفي ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ـ عبد الله النسفي ، تحقيق مروان الشعار ، ط١ـ ١٩٦٦م ، دار الأندلس ، بيروت .

٦ ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، للدكتور وهبة الزحيلي ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق .

٧ ـ تاريخ ابن خلدون ، مراجعة الدكتور سهيل زكار ، ط٢ـ ١٩٨٨م ، دار الفكر ، بيروت .

٨ ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، للحافظ الذهبي ، تحقيق الدكتور عمر التدمري ، ط١ـ ١٩٨٨م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٩ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول ، للإمام ابن الأثير ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، ط١ـ ١٩٨٣م ، دار الفكر ، بيروت .

١٠ ـ الجامع لأحكام القرآن ، للإمام القرطبي ، ط١ـ ١٩٩٤م ، دار الحديث ، القاهرة .

١١ ـ الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي ، للإمام الماوردي ، تحقيق علي معوض وعادل عبد الجواد ، ط١ـ ١٩٩٤م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٢ ـ حياة الصحابة ، محمد يوسف الكاندهلوي ، ط١ـ ١٩٩٢م ، دار الفكر ، دمشق .

١٣ ـ الروض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، للإمام السهيلي ، ط١ـ ١٩٥٥م ، دار الفكر ، القاهرة .

١٤ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد ، للإمام ابن قيم الجوزية ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط١ـ ١٩٧٩م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

١٥ ـ سبل السلام ، للإمام الصنعاني ، تحقيق أحمد زمرلي وإبراهيم الجمل ، ط٣ـ ١٩٨٧م ، دار الكاتب العربي ، بيروت .

١٦ ـ الإتقان في علوم القرآن : للحافظ السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ـ ١٩٨٧م ، المكتبة العصرية ، بيروت .

١٧ ـ الاستذكار : لابن عبد البر ، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي ، ط١ـ ١٩٩٣م ، دار قتيبة ، دمشق .

١٨ ـ الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني ، تحقيق علي البجاوي ، ط٢ـ ١٩٩٢م ، دار الجيل ، بيروت .

١٩ ـ الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ط٥ـ ١٩٨٠م ، دار العلم للملايين ، بيروت .

٢٠ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن قيم الجوزية ، تحقيق أحمد الزعبي ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، ط١ـ ١٩٩٧م ، بيروت .

٢١ ـ إحياء علوم الدين : للإمام الغزالي ، ط١ـ ١٩٩٣م ، دار الخير ، دمشق .

بل صحّ عن عمر رضي الله عنه أنه خطب أم كلثوم من عليّ فاعتل بصغرها وبأنه أعدها لابن أخيه جعفر ، فقال له : ما أردت الباءة ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي ، وكل بني أنثىٰ عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم » .

وفي رواية أخرجها البيهقي والدارقطني بسند رجاله من أكابر أهل البيت أن علياً عزل بناته لولد أخيه جعفر ، فلقيه عمر رضي الله تعالىٰ عنهما ، فقال له : يا أبا الحسن أنكحني ابنتك أم كلثوم بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فقال : قد حبستهن لولد أخي جعفر ، فقال عمر : إنه والله ما علىٰ وجه الأرض من يرصد من حسن صحبتها ما أرصد فأنكحني يا أبا الحسن ، فقال : قد أنكحتكها ، فعاد عمر إلىٰ مجلسه بالروضة مجلس المهاجرين والأنصار فقال : هنوني ، قالوا : بمن يا أمير المؤمنين؟ قال : بأم كلثوم بنت علي وأخذ يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « كل صهر أو سبب أو نسب ينقطع يوم القيامة إلا صهري وسببي ونسبي » وإنه كان لي صحبة فأحببت أن يكون لي معها سبب .

وبهذا الحديث المروي من طريق أهل البيت يزداد التعجب من إنكار جماعة من جهلة أهل البيت في أزمنتنا تزويج عمر بأم كلثوم ، لكن لا عجب لأن أولئك لم يخالطوا العلماء ومع ذلك استولىٰ علىٰ عقولهم جهلة الروافض فأدخلوا فيها ذلك فقلدوهم فيه وما دروا أنه عين الكذب ومكابرة للحس إذ من مارس العلم وطالع كتب الأخبار والسنن علم ضرورة أن علياً زوجها له وأن إنكار ذلك جهل وعناد ومكابرة للحس وخبال في العقل وفساد في الدين .

وفي رواية للبيهقي أن عمر رضي الله عنه قال : فأحببت أن يكون لي من رسول الله ﷺ سبب ونسب ، قال علي للحسنين رضي الله عنهم : زوجا عمكما ، فقالا : هي امرأة من النساء تختار لنفسها ، فقام علي مغضباً ، فأمسك الحسن ثوبه وقال : لا صبر لنا علىٰ هجرانك يا أبتاه فزوجاه .

وفي رواية أن عمر رضي الله عنه صعد المنبر فقال : أيها الناس ، إنه والله ما حملني علىٰ الإلحاح علىٰ علي في ابنته إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل حسب ونسب وسبب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا حسبي ونسبي وصهري » فأمر بها علي فزيّنت وبعث بها إليه ، فلما رآها قام إليها وأجلسها في حجره وقبّلها ودعا لها ، فلما قامت أخذ بساقها وقال لها : قولي لأبيك قد رضيت قد رضيت ، فلما جاءت قال لها : ما قال لك؟ فذكرت له جميع ما فعله ، وما قاله وأنكحها إياه فولدت له زيداً فمات رجلاً .

وفي رواية : أنه لما خطبها إليه قال : حتى أستأذن فاستأذن ولد فاطمة فأذنوا له .

وفي رواية : أن الحسين سكت وتكلم الحسن فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال : يا أبتاه من بعد عمر صحب رسول الله ﷺ ، وتوفي وهو عنه راض ، ثم ولي الخلافة فعدل ، فقال له أبوه : صدقت ولكن كرهت أن أقطع أمراً دونكما ، ثم قال لها : انطلقي إلىٰ أمير المؤمنين ، فقولي له : إن أبي يقرئك السلام ويقول لك : إنا قد قضينا حاجتك التي طلبت ، فأخذها عمر وضمّها إليه وأعلم من عنده أنه تزوجها ، فقيل له : إنها صبية صغيرة ، فذكر الحديث السابق .

وفي آخره : أردت أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ سبب وصهر .

٢٢ ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، للإمام الكاساني ، ط٢ـ ١٩٨٦م دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٣ ـ كتب الصحاح والسنن والمسانيد والمستدرك ، والمصنف . .

٢٤ ـ سير أعلام النبلاء : للحافظ الذهبي ، ط٢ـ ١٩٨٢م ، مؤسسة الرسالة بيروت .

٢٥ ـ شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ، تحقيق حسن تميم ، ط١ـ ١٩٦٣م ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

٢٦ ـ العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة ، القاضي أبو بكر بن العربي ، تحقيق محب الدين الخطيب ، ط دار البشائر ، دمشق (د . ت) .

٢٧ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للإمام المناوي ، ط٢ـ١٩٧٢م ، دار المعرفة ، بيروت ؟ .

٢٨ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري : ابن حجر العسقلاني ، ط١ـ ١٩٩٢م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٩ ـ الفقه الإسلامي وأدلته : الدكتور وهبة الزحيلي ، ط١ـ ١٩٨٤م ، دار الفكر ، دمشق .

٣٠ ـ القاموس المحيط : للفيروزآبادي ، ط٥ـ ١٩٥٤م ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة .

٣١ ـ كتاب الأموال : للقاسم بن سلام ، تحقيق محمد خليل هراس ، ط١ـ ١٩٨٧م ، الدوحة .

٣٢ ـ المحلىٰ : للإمام ابن حزم الأندلسي ، ط١ـ ١٩٨٠م ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

٣٣ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر : لابن الأثير ، ط١ـ ١٩٦٢م ، المكتبة الإسلامية ، القاهرة .

٣٤ ـ نيل الأوطار : للإمام الشوكاني ، ط١ـ ١٩٩٥م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٥ ـ كشف الغمة في معرفة الأئمة ، أبو الحسن الإربلي ، ط٢ـ ١٩٨٥م ، دار الأضواء ، بيروت .

٣٦ ـ أهل بيت رسول الله في دراسة حديثة ، محمد علي إسبر ، ط١ـ ١٩٩٠م ، الدار الإسلامية ، بيروت .

٣٧ ـ تفسير آية المودة ، أحمد الخفاجي ، تحقيق محمد المحمودي ، ط١ـ ١٩٩٢م ، الثقافة الإسلامية ، إيران .

٣٨ ـ الإمام الصادق ، الشيخ محمد أبو زهرة ، ط١ـ ١٩٨٠م ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

٣٩ ـ جواهر العقدين في فضل الشرفين ، نور الدين السمهودي ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ـ ١٩٩٥م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٤٠ ـ الثغور الباسمة في فضائل السيدة فاطمة ، للحافظ السيوطي ، تحقيق محمد سعيد الطريحي ، ط١ـ ١٩٨٨م ، دار العلوم للتحقيق ، بيروت .

٤١ ـ الإتحاف بحب الأشراف ، عبد الله الشبراوي الشافعي ، وبهامشه كتاب إحياء الميت في الأحاديث الواردة في آل البيت للسيوطي ، ط١ـ ١٩٣٠م ، القاهرة .

٤٢ ـ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ، سيد الشبلنجي ، ط١ـ ١٨٧٠م ، المطبعة العامرة ، طهران .

٤٣ ـ من خصائص آل بيت رسول الله ، الدكتور عز الدين الشيخ ، ط١ـ ١٩٩٢م ، مكتبة الإيمان ، دير الزور .

٤٤ ـ الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة ، علي أحمد المالكي الشهير بابن الصباغ ، ط١ـ ١٩٨٨م ، دار الأضواء ، بيروت .

٤٥ ـ فضائل الخمسة من الصحاح الستة ، مرتضى الحسيني الفيروزآبادي ، ط٣ـ ١٩٧٣م ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت .

٤٦ ـ ينابيع المودة ، سليمان بن محمد ، المعروف بالقندوزي الحنفي البلخي ، ط١ـ ١٩٦٨م ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت .

٤٧ ـ أهل البيت ، محمد جواد مغنية ، ط٢ـ ١٩٨٤م ، دار الجواد ، بيروت .

٤٨ ـ فضل آل البيت ، للإمام المقريزي ، ط١ـ ١٩٨٠م ، دار الاعتصام ، القاهرة .

٤٩ ـ الشرف المؤبد لآل محمد ﷺ ، يوسف النبهاني ، ط١ـ ١٩٨٩م ، دار جوامع الكلم ، القاهرة .

٥٠ ـ الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ، أحمد بن حجر الهيتمي المكي ، تعليق عبد الوهاب عبد اللطيف ، ط٢ـ ١٩٦٥م ، مكتبة القاهر ، مصر .

* * *

المحتوى

تقديم الأستاذ نذير محمد مكتبي ٥
تقديم الأستاذ محمد راتب النابلسي ٩
من وحي التنزيل ١٣
من مشكاة النبوّة ١٥
المقدمة ١٧

الباب الأول : مسائل تتعلق بآل البيت ٢١
الفصل الأول : من هم آل البيت ؟ ٢٣
البحث الأول : آل البيت ـ لغةً ـ ٢٣
البحث الثاني : آل البيت ـ اصطلاحاً ـ ٢٦
الفصل الثاني : حبّ آل البيت لايعني بغض الصحابة ٣٣
الفصل الثالث : كيف كان السلف الصالح مع آل البيت ؟ ٤٩
الفصل الرابع : بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بآل البيت ٧٣
١ـ ما هو حكم أخذ آل البيت من الصدقة المفروضة، أو
من صدقة التطوع ٧٣
٢ـ هل يجوز لهاشمي أن يعطي زكاة ماله لهاشمي اخر؟ ... ٧٧
٣ـ هل يجوز لهاشمي أن يأخذ من الصدقة ٧٧
٤ـ ما حكم من سب النبي ﷺ أو أصحابه أو آل بيته؟ ٧٨
٥ـ ما حكم الانتساب إلى آل بيت رسول الله ﷺ كذباً؟ ٨١
٦ـ ما هو حكم الصلاة والسلام على آل بيت رسول الله ﷺ . ٨٢

الباب الثاني : فضائل آل البيت في ميزان الشريعة الإسلامية ٩١
تمهيد : لماذا التفاوت في الفضل ؟! ٩٣
الفصل الأول : فضائل آل البيت في القرآن وتفسيره ٩٧
ـ في سورة البقرة ٩٩
ـ في سورة آل عمران ١٠١
ـ في سورة الرعد ١٠٩
ـ في سورة الحجر ١١١
ـ في سورة الكهف ١١٥
ـ في سورة الحج ١٢٠
ـ في سورة السجدة ١٢٢
ـ في سورة الأحزاب ١٢٣
ـ في سورة الزمر ١٤٥
ـ في سورة الشورى ١٤٦
ـ في سورة الطور ١٥٦
ـ في المجادلة ١٦١
ـ في سورة الممتحنة ١٦٢
الفصل الثاني : فضائل آل البيت في الأحاديث النبوية ١٦٩
الخاتمة ١٨١
المصادر والمراجع ١٨٥
المحتوى ١٩١

* * *